

الثقافة والتحديات الراهنة

تعد الثقافة بأناقها المعرفية والسلوكية، وتنوع أساليبها الحامل الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والإعلامي والتقني الذي يميز مجتمعاً من آخر... ومن ثم فهي الصورة الصادقة لحاجاته ومشاعره وقضاياها في كل زمان ومكان...

وكلما اتسمت بالنضج والوعي والانتماء إلى قيم الوطن وجماع فضائله كانت أشد نفعاً لأبنائه...

ويفترض أن يكون أصحاب الثقافة - بهذا المعنى - أعظم انغماساً في الدفاع عن وطنهم إذا ما دهمته الأزمات؛ وألمت به النكبات، إذ لا يجوز لهم أن يسقطوا في فرضيات الانعزال أو الوهم أو الهروب... أو أن تصبح حياتهم لحظات عابرة يجعلون فيها الكوارث التي يعاني منها وطنهم فرجة للتسلية... ومن ثم فهم لا يقعون في حالات التزلف والنفاق، والكذب والرياء؛ والخداع والاضطراب، بل عليهم أن يجعلوا قلقهم الثقافي قلقاً إبداعياً بناءً، وتوترهم النفسي توتر الصوفي الذي تكشف الحجب له أسرارها...

ولهذا كله فما من سؤال يتعلق بمهمة المثقف العضوي أو المبدع الملتزم في ظل التحديات الراهنة الماثلة على سورية إلا صار تعبيراً عن مسؤولية وطنية كبرى تستتري الواجب والحق والخير والجمال... بوصف أي من المثقف أو المبدع لا يمكنه التخفي وراء رؤية عارضة، أو قطعة فنية تتغذى على كرامة الوطن، علماً أن الأزمة - خلال ما يزيد على سنتين - أوجدت أشكالاً ثقافية مضطربة؛ ومثقفين أضاعوا بوصلتهم في عتمة الليل البهيم، وسواده الكالح الذي عبت في جنباته أفاعي الإجرام والحقد والكرهية... فنفتت سمومها ممزوجة بأدوات القهر والظلم لكل ما هو جميل... وكيفما قلب المرء القنوات الفضائية المتوترة بالكرهية للشعب السوري، السكرى بالحروف السامة، المسكونة بكهف التخريب والدمار؛ المحمولة على طيش أربابها من صناعات سياسة الموت والقتل؛ والذين أشربوا في قلوبهم الحقد والفتنة والعبث والجنون... فإذا زفروا كان زفيرهم دماً؛ وإذا شهقوا كان شهيقهم المر العلقم... نقول: كيفما قلب المرء تلك القنوات لم يصب منها إلا آثارها المرة؛ وحكاياتها العرة؛ وقد امتلأت أفواه القائمين عليها بقبح الضلال وقبحه؛ وعفن التضليل وزيفه؛ وقد عقدوا العزم على جعل الكيد للوطن والعبث بسيادته وحرية أسلوبها لا يدانيه أسلوب... وكل من أمعن النظر فيما تعرضه أو أصغى السمع لما تنفثه راعه صدى صوت أغربة الخراب، وأرعبه حجم البؤس الذي يدفع بالحطام إلى الموت...

وليت الأمر قد توقفت عند هذه الصور المأساوية التي لا نبض فيها ولا روح، وقد تراحم في عنقها شياطين متورمة من خبث الكلام، وشر المعاني التي تنز سما، وتثير قبوراً... ومن ثم فالصورة أكثر قتامة مما يتخيله ذهن بشري، ولا سيما حين يتناهى إلى آذاننا صرخة ألم المثقفين أو المبدعين بوصفهم غير قادرين على تغيير مجريات الأزمة، إذ طغى السواد على البياض وضاعت المعادلة الموضوعية لمفهوم الحوار الوطني الخلاق... وتلاشى المخزون المعرفي المتجدد والحيوي... وقد غدا دهاقنة التدمير في الأرض يمدون ظلهم شظايا ناسفة تدمي عرائس الفكر المتوهج وتهدم الثقافة الإنسانية الأصيلة؛ والمتجددة، بحجة الدفاع عنها تارة أو القصد إلى هذا تارة أخرى ما يعني أنها تضجر طمأنينة الروح لتملأها بالعذاب والقهر والإحباط....

وأياً ما يكن تأثير هؤلاء أو أولئك الصامتين صمت أهل الكهف، والراجلين وراء فحيح الندم فإن الحلم الشارد للمثقفين الأحرار، والأدباء الوطنيين الأخيار سوف يتوالد من وجع الوطن المندور للحياة؛ وينبعث من جنون الجرح الغائر، ليستيقظ من قسوة العدم... وقد انتشى بنغم الوتر النابض بمقاومة القنوط واليأس. فأياً كانت الأحداث الجسام التي يمر بها الوطن والأمة عصبية وقاسية، وأياً كانت حجوم الانهيارات والخيانات مؤلمة، وأياً كانت بطولات الفهلويين البلهاء جارحة فإن هؤلاء المثقفين والمبدعين وأبناء الوطن الشرفاء سوف يخدمون الجرائق التي تاججت بأيدي المغفلين والمغرر بهم، وسوف يزرعون الأمل أزهاراً بيضاء في النفوس... وسيتشدون إبداعات الوطن على أوتار المحبة والتسامح، وقد عزز ذلك كله انتماءهم الوطني الأصيل، وإرادتهم القادرة على اختيار الأسلوب المفعم بالخلق لبناء المستقبل الحر الكريم... ولا سيما أنهم تعطروا بخصوبة الأرض الصامدة، وأريج الماء الذي يضح صفاء ووقداً...



وداعاً شاعر الطفولة

الموت مرتين!

الطعم والصنارة

كما للاعتراف

الدولي

استحقاق

للمصالحة

كذلك

من أغنيات

العربة

السهر الجميل

الرائحة



أدباء الأطفال.. كيف يتعاملون مع التراث؟

حوار مع د. اسماعيل مروة



بين سلطة المعرفة المهيمنة... وسلطة المعرفة الاخلاقية

تحدي المكبلين

• عبد الله الدرويش

أَيُّهَا النَّسْرُ
لَسْتُ جَدِيراً بِجَنَاحِكَ
٢. الكبرياء والشموخ في رفع الجبين عالياً في وجه
الأعداء، وهذا نوع من المقاومة السلبية.
كُلِّ مَا أَمْلَكُهُ فِي حَضْرَةِ الْمَوْتِ:
جَبِينِي
٣. الغضب المتأجج في الأعماق على هذا الوضع
بدون القدرة على التغيير.
كُلِّ مَا أَمْلَكُهُ فِي حَضْرَةِ الْمَوْتِ:
وَعُضْبِي
٤. حث الآخرين على تمثّل هذا التحدي،
وتواصله، فزرع الشاعر مركز الحياة فيه شجرة
شامخة عالية، تعبر عن الحياة المتجددة الباقية
بشموخها متحدية الزمن حتى في موتها، فهي تموت
واقفة.
وَأَنَا أُوصِيْتُ أَنْ يُزْرَعَ قَلْبِي شَجَرَهُ
وَجَبِينِي مَنْزَلاً لِلْفَيْرِهِ
٥. إثارة الصعاب على قبول الذل والمهانة، فاللهب
أقل وطأة من الذل.
إِنِّي أُوتِرُ أَكْلِيلَ اللَّهَبِ
وَلَا نَسِيْتُ أَنَّ الْوَطْنَ دَائِماً يَنَادِي أَبْنَاءَهُ وَأَحْفَادَهُ
حَاتِئاً يَا هُمْ عَلَى مَوَاصِلَةِ الْكِفَاحِ لِتَخْلِيصِهِ مِمَّا هُوَ
فِيهِ، وَهُوَ هُنَا ظَاهِرٌ فِي إِطْفَاءِ نُورِ الْبَصْرِ عِنْدَ الشَّاعِرِ
حَتَّى لَا يَقِفَ مَكْبَلُ الْأَيْدِي.
أَيُّهَا النَّسْرُ الَّذِي يَرْسُفُ فِي الْأَغْلَالِ
مِنْ دُونِ سَبَبٍ
أَيُّهَا الْمَوْتُ الْخَرَابِيُّ الَّذِي كَانَ يَحُبُّ
لَمْ يَزَلْ مَنقَارَكُ الْأَحْمَرُ فِي عَيْنِي
سَيْفًا مِنْ لَهَبٍ..
وبذلك نكون قد عرفنا أن القصيدة:
تموج بصور التحدي لهذا القهر الذي يعانيه
العرب من خلال الشاعر.

تتنوع الصور التي يقف فيها الإنسان متحدياً
عدوياً أو زمناً أو تقاليداً... ويأخذ كل تحدٍ شكلاً
متناسباً مع طبيعة الموقف، محققاً بذلك القول
المشهور: لكل مقام مقال..

فبعد إصابة الإنسان العربي في النصف الثاني
من القرن العشرين بالمصائب المتتالية، التي كبلته
وأحاطته بهالة من القيود والسدود، وخصوصاً عرب
الأرض المحتلة الذين أعطوا الجنسية اليهودية،
فأصبحوا مواطنين من الدرجة الثالثة أو الرابعة
من دون أن يكون لهم حق الاختيار والانتقاء..
وطني، إنا ولدنا وكبرنا بجراحك
هؤلاء الذين ولدوا في المأساة هم الوجه الحقيقي
لمأساة الإنسان العربي في عالمه المعاصر..

وخير من يمثل لنا حالتهم؛ وما يعانونه؛ الشاعر
محمود درويش في قصيدته (جبين وغضب)، معطياً
إيانا الملامح الأساسية للإنسان المقهور الذي لا يملك
شيئاً ليقرر مصيره..
كُلِّ مَا أَمْلَكُهُ فِي حَضْرَةِ الْمَوْتِ:
جَبِينِي وَعُضْبِي

ومن التفاعل مع القصيدة نرى الصورة القوية
المتماسكة للتحدي، المتمثلة بالنقاط الآتية:

١. عدم الجدارة بحمل اسم الوطن لما يعانيه هذا
الوطن من الأسر والذل، وعلى ذلك فسيكون الراضي
بهذا الوضع ذليلاً مهاناً، ولذلك لم يكن الشاعر
وغيره من العرب جديرين بحمل هوية الوطن..
علماً أن الوطن يعاني من الذل المركب، فهو سجين،
وفي قصص خشبي إمعاناً في الذل والإهانة.
وَطَنِي يَا أَيُّهَا النَّسْرُ
الَّذِي يَغْمَدُ مِنْفَارَ اللَّهَبِ
فِي عَيْوُنِي
عَبْرَ قَضْبَانِ الْخَشَبِ
فَمَنْ هُنَا لَمْ يَكُونُوا يَسْتَحِقُّونَ حَمْلَ هَوِيَّةِ الْوَطَنِ:

الموت مرتين!

• غالب خلابي

الحزن النبيل ببعض كلمات أو تساؤلات
مربية، بلا إبطاء، ومن دون مراعاة للمشاعر.
نعرف أن الحياة لن تتوقف، ولكن
التساؤلات الدنيوية الضجة تزيد من لواعج
الأسى.

ومن سوء الحظ أن بعض الناس يعدون
المواساة واجباً شكلياً، ومن ثم يرون في مكان
العزاء ندوة للتدخين ولطرح الآراء الغربية أو
المربية، أو حتى لتبادل أي نوع من الأحاديث،
غير مبالين بجلال الموقف، ولا بهيبة الموت.
ومن سوء الحظ أيضاً أن بعض الناس
يعدون المواساة عبئاً ثقيلاً، فلا يلتفتون لمن
شاركهم الخبز والملح في المسرات. وهم يكونون
ذلك قاسياً على من فقد عزيزاً. والمؤسف
أن المرء، بعد بضعة تجارب قاسية، يتعلم
ألا ينتظر من الآخرين تعاطفاً، ما دامت
الظروف قد فرضت عليه انقطاعاً مريباً
عن كثير من تفاصيل الحياة. يعني ماذا يهم
أن يبيت المرء (غير المهم لغيره) محزوناً أو
طاوياً أو قلقاً؟ والمحزن في الأمر أن يكون
هذا المرء في ماضيه من أكبر الملبيين لحاجات
الناس.

والذي يواسيك (أو ربما يضللك) في زمن
تنتقع به الأوصال، أن يصبح الغريب - كما
قال الملك الضليل "٢" في رحلة الثأر والموت-
للغريب نسبياً، لكن يفاجئك أحياناً أنك لا
تجد - خارج دائرة أناس جمعتك بهم ظروف
متشابهة، أو حتى ضمناً - بضعة أشخاص
في مستوى الحدث، أو حتى في مستوى
رسالة نصية قصيرة. يبدو الموت أحياناً عند
بعضهم حدثاً مخيفاً لا يريد تذكر عبءه، أو
يبدو طبقياً لا يريد الاختلاط بأهله، ويبدو
بعضهم أكثر اكتراثاً بمشاريحه ومصالحه
من أي عزاء. حينئذ يتعب نفسه بالحضور،
وفي ذكر مناقب المتوفى حتى المجهولة، ولا
يقصر في أن يخترع له صفات ومناقب
جديدة.

فاجع أن يشعر المرء في الموت بالغربة، أو
بالنفاق، أو بالطبقية، أو بعدم الاكتراث.
مؤلم أن يشعر أن بعضهم يتشفى بالموت،
ولا يفاجئه - في هذا المقام - أن الذي لم يهتم
بالحي لحظة يهمله بعد الممات، لكن: هل
يضير الميت ما لم يضره في الحياة؟
حسب الموت أنه شدة تنتهي مهما طال
الوقت، فيما العيش مع ذوي الطبع الفاسد
شدة لا تزول.

ليس هناك ما هو أقيح من الموت اللثيم
المقيم اليوم بين ظهرانينا، سوى موت بعض
النفوس، تلك المريضة أصلاً، ويعلق أصحابها
تعليقات قبيحة على مشاهد الدمار والموت،
تعليقات غير مسؤولة، وخالية من أية ذرة
إنسانية، إذ يرون في موت الأبرياء حياة، فيما
نرى في تصرفاتهم الشائنة موتاً ثانياً.

والموت الثاني أقسى بلا شك؛ ذلك أن
الطفل البريء الذي توفاه الله في مدرسته
أو في طريقه إليها، أو ذلك الموظف الشريف
الناهب إلى عمله، أو ذلك العالم القابع في
صومعته أو محرابه، أو الجندي الشجاع
المدافع عن وطنه، تألم للحظات أو لدقائق
قبل أن يذهب روحه الطاهر إلى بارئها،
لكن الألم يبدأ ويدوم عند من بقي من أهله
ومحببيه، وهم يرون قسوة القلب، وفجاجة
الكلمات، وحتى الكذب المفصوح الصريح،
ليقتل المقتول مرتين وثلاثاً، ويذبح أهله
الباقون ذبحاً.

أرايتم حقداً أكبر من ذلك الحقد؟
إنه التجبر حتى على الموت، وكأن هؤلاء
المتجبرين لن يطالهم الموت أبداً.

•••

الموت، ذلك الجبار العنيد، حدث يومي
متكرر في أرجاء الكون، لكنه لا يمكن أن يصبح
حدثاً عادياً، مهما حاولت وسائل (الإعلام)
تدجينه، أو زلقه إلى خبر عادي على الشريط
الإخباري، بعد أن شبع المشاهدون دماً وقتلاً
وفحشاً. نعم، يبقى الموت حدثاً جلالاً، خاصةً
حينما تقترب من التفاصيل الصغيرة لمن
توفاه الله، ولئن بقي بعده.

والموت يبقى هو الموت، أصاب من أصاب،
من العامل البسيط المسحوق الذي يكبح في
البرد الشديد أو تحت الشمس الملتهبة، إلى
أعتى الجبابرة. ذلك الكادح المسكين له أم وأب
يحبانه، وينتظران معونته الزهيدة، وقد
تكون له زوجة تشاق إليه كثيراً، وتنتظره
وحيدة مذعورة كل ليلة من دون أن يأتي،
وربما يحلم ولد أو بنت طاويان بعودته
محملاً بأكياس الهدايا واللباس الجديد
والطعام الشهي. إنه (إنسان) كامل المشاعر،
وله جميع الحقوق الإنسانية التي نسمع عنها
ويتغنى بها الكثيرون، من غير وجود فعلي.
في النهاية يدخل القبر ذلك العبد الفقير،
وذلك الجبار العنيد:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه باليد
أرى قبر نحام بخيل بماله

كقبر غوي في الضلالة مفسد "١"
وكم يحزنني اليوم ألا يكثر بعض
الناس للموت. ولكن: هل رأى هؤلاء الناس
الأمهات الشكالي والزوجات الأرامل يبكين
غواليهن؟ وهل رأوا الأولاذ اليتامى وقد
شرقوا بالدمع؟ وهل يعرفون كيف ستكون
حياة هؤلاء بعد فقدان عزيزهم أو حتى
عائلهم الوحيد؟

xxx

ما إن يأتي الناس (حتى الموهن منهم
على العكاز) معززين من كل حدب وصوب،
في تعاطف وتكاتف فريدين مع أهل الفقيد،
حتى يشوه بعض الناس المتصارعين صفحة

نوارس تحلق في فضاءات بحر حزين

• حسن ابراهيم الناصر

إليك أهدي كلمات عشقي التي لا تموت! وأوراق التي حبرتها بالوجع والحزن والدموع. عشقي منارة لا
ينطفئ سراجها! وسراج بوحى قديم كهذا الزمان السرمدي اللانهائي! يرتدي هذا الزمان صوت الرصاص..
فيكتب الرصاص حزني على صباحات الياسمين! وترتدي الأمكنة ألوان الشفق.. يا للغروب الموجه! فيشكل
نهر الدم مسارات الأبدية والإبداع! أخرج إلى البحر فتلاقيني نوارس العشق ورسائل الأحبة والانتظار ولهفة
العشاق والفقداً يا للذاكرة هناك: مشينا حتى أذان الفجر.. والياسمين يظل وقع خطواتنا في الحي القديم
في مدينة لا يغفو ليلها. حين تركت مدينة العشق "دمشق" تركت هناك ذاكرة تومض فتأديها لليلية، كأنها
نجوم صباحات في الفضاء! لجوجة كلماتي لا تطيق الانتظار، ملء خافقي صبر وعشق! وشيطان محبتي تتسع
للعاشقين والمحبين وللأوفياء! هي: المرأة التي أخذتني حتى آخر خطوات العمر، وأشعلت صباها ووهج عمرها
شموع... حتى أرى طريقي.. وأكتب كل أنواع الإبداع! المرأة التي سكبت حبها كؤوس عشق.. وأسكرتني حتى
الثمالة فبدت الدنيا أجمل! يتجدد عام.. فيكتب على وجه الصباح.. كلمات للعشق وللمحبة! صباحاً ارتدت
البحر ومفرداتي، وقميص الزيزفون، وحكايات الزمان، وسقتني خمرها، وشربت حتى ارتويت عشقاً. يرتدي
الفجر صباحات الزعتر البري.. ويهفهم المطر على الشرفات. كيف أصف امرأة من بوح وعشق وتضحية؟
حين يصبح البحر صديقي، ولا تغادرنى شوارع المدينة العتيقة.. يسكنني الياسمين حتى ترتوي محبرة
الأبدية! ويسكن في داخلي نبضها.. مدينة هي كل شيء. حزني عميق.. وصوتي تتناقله الدروب.. ويأخذني
الليل إلى مسارات الوجع. والمطر يغسل روحي ويرحني من التعب... تعبان يا دنيا وعاتب على الزمان! اللفظة
تأخذني للكتابة في مساءات نيسان. بارد مساء نيسان.. وعشقي جمر لا ينطفئ. مساء رحاب الجلاء عيد
الوطن والشعب عيد سورية وطن الحضارة والأبدية.. سورية المتجددة مركز يتوهج علماً وحضارة وتطوراً
وازدهاراً. لتسحق فلول الجهل والتخلف والعصبية. سورية المتألقة لنهارات التقدم في مسارات الإنجازات.
لتواجه الجهل والإرهاب وتنتصر. لهفتي لمدينة الياسمين لهفة الأرض للمطر. في صباحات السابع عشر من
نيسان يتجدد الحنين وتستنفض الذاكرة ليتجدد فجر سورية العربية القومية والتي بوصلتها "فلسطين".

١- طرفة بن العبد البري (٥٤٣-٥٦٩ م)

٢- في معلقته الشهيرة: لخولة أطلال بركة (م)
ثمد (...).

٢- هو الشاعر الجاهلي امرؤ القيس
(حندج بن حجر الكندي ٥٢٠-٥٦٥ م)
صاحب المعلقة الشهيرة (قفا نيك من ذكرى
حبيب ومنزل)، وقد رحل إلى ديار الروم من
أجل الثأر لقتل أبيه، فمات في طريق العودة
وقد تفرح جلده، وقال بيتاً شهيراً:
أجارتنا إنا غريبان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب

بين سلطة المعرفة المهيمنة... وسلطة المعرفة الاخلاقية

• محمد علي حبش

جلباً في مؤتمرات القمة العالمية لمجتمع المعلومات بدءاً من مرحلة جنيف ٢٠٠٣ مروراً بمرحلة تونس ٢٠٠٥ وصولاً إلى منتدى القمة العالمي الأخير حول مجتمع المعلومات الذي استضافته مدينة جنيف في أيار ٢٠١٣، ولعل في ذلك استعمار بشكل جديد، الاستعمار الرقمي، وهذا ما يسميه البعض العنف السيليكوني.

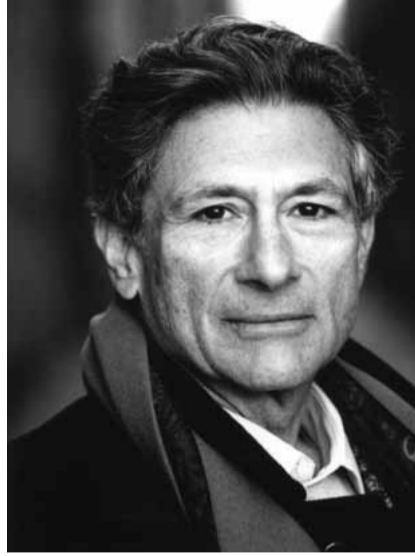
مما تقدم لا بد من التأكيد على ما قاله المفكر سعيد حول المعرفة التي نريد! وهي المعرفة القائمة على الفهم لا على السلطة، المعرفة التي تسهم في تحقيق التنمية الإنسانية، ومجتمع المعرفة الذي نريد هو ذلك المجتمع الذي يقوم على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي الإنساني.

من هنا تبرز أهمية استخدام الأساليب العلمية لتحديد نوع المعارف المطلوبة، ووضع الخطط اللازمة لتحقيق التنمية الإنسانية القائمة على مرتكزات اقتصادية وقيمية مرتبطة بمنظومة معرفية قائمة على المعرفة العلمية والفهم، ولا شك أن ذلك يبقى رهناً بالبنية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية العربية، التي تعمل على توفير البيئة المناسبة لاكتساب المعرفة وتوظيفها في خدمة التنمية.

إن ما نحتاجه توفير بيئة ثقافية ونظرية أخلاقية وأطر سياسية تحفز وتحمي عملية الإبداع والتجديد الخلاق على مختلف المستويات، والعمل على إزالة أية عقبات يمكن أن تقف حجر عثرة أمام تلك البنية..

المطلوب إذاً إطلاق طاقات المؤسسات العربية الحكومية وغير الحكومية العاملة في مختلف مجالات المعرفة لتوفير البيئة المناسبة لاكتساب سلاح المعرفة، ومواجهة عصر الانفراد بالثروة وسلطة المعرفة، وإدعاءات امتلاك الحقيقة، بامتلاك سلطة المعرفة الاخلاقية التي تعيد توليد ذاتها، ولعل ذلك يتوقف على حيوية القوى والعناصر المشكلة لورش ولجان الإصلاح والإبداع التي يرفدها الأمل ويقويها الإصرار، وتتخذ من الإرادة طريقاً إلى النجاح.

وعلى وسائل الإعلام المختلفة استعمال المعلومات بطريقة تنم على الشعور بالمسؤولية، وفقاً للمعايير الأخلاقية والمهنية، والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في هذا الصدد، والعمل على تشجيع تنوع ملكية وسائل الإعلام للحد من اختلال التوازن في امتلاكها على الصعيد الدولي، ومناهضة استخدامها في أغراض سيئة غير مشروعة بدوافع عنصرية، وما يتصل بها من أشكال التعصب والكرهية والعنف، وذلك محاولة إسهامية منها في تحديد معالم طريق امتلاك سلطة المعرفة الاخلاقية.



إدوارد سعيد

دائماً، إذ تتحكم سلطة القوة بسلطة المعرفة لإعادة إنتاجها وتوجيهها وفق أنساق معينة تخدم تلك القوة.

لقد أتاح العصر المعلوماتي الجديد فرصة للمعرفة المهيمنة لأن تتسيد الساحة الإعلامية المعلوماتية، لما لها من قدرة على توظيف الحقائق الفكرية والعلمية الجديدة في تأكيد هيمنة الإيديولوجيا المسيطرة، وبقيت المعرفة المهيمنة هي معرفة السلطة المسيطرة في تحولاتها المختلفة عبر العصور الحضارية الكبرى.

إننا نعيش اليوم عصر اكتساح الولايات المتحدة الأمريكية رقمياً، حيث تسعى إلى رقمنة العولمة اقتصادياً وثقافياً، واحتكار صناعة المعلوماتية، ويتجلى ذلك في السطو العربي الواضح في عالم الإنترنت، حيث تسيطر القوة العظمى في العالم من خلال منظمة خاصة غير حكومية تسمى مجموعة الإنترنت لأسماء العناوين والأرقام "أيكاب" في كاليفورنيا على مصادر المعلومة في اتجاه الجنوب، إذ تدير الشبكة العنكبوتية بيد حديدية ولا ترغب في توزيع هذه السلطة الجديدة على باقي الدول، وقد ظهر ذلك



كتابه "الثقافة والإمبريالية"

يقول المفكر العربي الراحل إدوارد سعيد: "لا نريد المعرفة كمنتج أو سلعة، ولا نريدها كعملية إصلاح تعني مكتبات أكبر أو عدداً أكبر من الحواسيب فقط، المعرفة التي نريد تختلف نوعياً، وتقوم على الفهم عوضاً عن السلطة والتكرار غير الناقد أو الإنتاج الآلي".

ويضيف سعيد: "ليست المعرفة مجرد الحقائق، ولكن كيف ترتبط الحقائق بحقائق أخرى، كيف تتكون الحقائق بالأساس؟ هل ترتبط بافتراضات أو نظريات؟ وكيف يمكن للمرء أن يحكم على العلاقة بين الحقيقة والمصالح، وكيف يمكن فهم الواقع كتاريخ؟.. ويختم: "هذه هي بعض القضايا الجوهرية التي تواجهنا، والتي يمكن إيجازها في العبارة - السؤال: كيف نفكر؟" وقال أيضاً: "الزمن الراهن هو ساحة المعركة والمعرفة هي سلاحنا".

كما أكد في كتابه "الثقافة والإمبريالية" على سلطة المعرفة وقوتها، ولم يدخر جهداً في سبيل صون الحقيقة من محاولات تشويهها وتزييفها.

لما كانت المعرفة تتكون من البيانات والمعلومات والإرشادات والأفكار أو مجمل البنى الرمزية التي يحملها الإنسان أو يمتلكها المجتمع، في سياق دلالي وتاريخي محدد، وتوجه السلوك البشري فردياً ومؤسسياً في مجالات النشاط الإنساني كافة، فهي تضم البنى الرمزية التي تحتزن عبر التعليم الرسمي والدروس المستفادة من خبرات العمل والحياة، وتشمل الحقائق والقصص والصور وموجهات السلوك البشري موثقة أو شفاهة أو ضمنية.

وقد أكد تقرير التنمية الإنسانية العربية ذات مرة المعنون: "نحو إقامة مجتمع المعرفة"، على أن المعرفة حالة إنسانية أرقى من مجرد الحصول على المعلومات، بل إن المعرفة في عصر التخمة المعلوماتية يمكن أن تضيق في خضم فيضان المعلومات عبر شبكة الإنترنت مثلاً.

وإذا كان العالم قد أصبح قرية صغيرة وفق "ماكلوهان" فلا بد لنا نحن العرب من الانتباه إلى طبيعة نظام هذه القرية الكونية، فهي حققت الاتصال والمعرفة، لكنها لم تحقق العدالة، لظالمنا أن النظام العالمي الجديد يعطي فرصة الاحتكار والنفوذ للأقوى، الذي يستطيع بإمكاناته وماكيناته الإعلامية الضخمة أن يضيئ مستويات المعرفة التي يمكن أن يتلقاها عالمنا الثالث.

فالضغط العربي الذي يمارسه الأقوى على الساحة العالمية، يخضع مباشرة للأدوات المرئية والمسموعة والمقروءة، بحيث يستطيع الأقوى أن يقود ملايين المتلقين إلى نتائج ليست بالضرورة أن تكون مطابقة للحقيقة والواقع، بقدر ما تخدم مصلحة الأقوى، وبذلك تكون المعرفة بحد ذاتها سلطة تارة، وتكون أداة في يد سلطة الأقوى

كما للاعتراف الدولي استحقاق للمصالحة كذلك

• مأمون شحادة

رفع التمثيل الفلسطيني إلى "دولة مراقب" في الامم المتحدة يترتب عليه جملة من الاستحقاقات التي سترسم على أرض الواقع "محلياً وإقليمياً ودولياً"، وكذلك المصالحة الفلسطينية لها استحقاقات وواجبات تنتظر التطبيق.

أول هذه الاستحقاقات لـ "دولة مراقب" تغيير المنظور العام لفضوى المواجهة السياسية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وإدخالها في مرحلة جديدة تتغير فيها المعادلة من المواجهة التقليدية المحلية إلى المواجهة الدولية (بين الإسرائيليين والمجتمع الدولي).

أما الاستحقاق الثاني، فهو شرعية التوجه إلى المحكمة الجنائية والدولية لمقاضاة "إسرائيل" على "جرائمها"، وهذا يشكل نقطة مفصلية للتحوّل من الدفاع إلى الهجوم. والاستحقاق الثالث، وهو الأهم، تحول الأراضي الفلسطينية ضمن حدود ٦٧ من أراضٍ متنازع عليها إلى أراضٍ فلسطينية لها حدود دولية إقليمية مع الطرف المجاور، وعدّها محتلة يجب تحريرها بحسب ما تنص عليه القرارات الدولية، وهذا ما تحتاج إليه مدينة القدس العاصمة المتنازع عليها.

وعلى الرغم من كل تلك الاستحقاقات، يجب أن نعرف كمثال بسيط مقارنة بـ "إسرائيل" أن الولايات المتحدة الاميركية دمرت العراق وألحقت به ما ألحقت من قتل واغتصاب إلى غير ذلك من أعمال "سياسة اللامبالاة"، ولم يحاسبها المجتمع الدولي على أفعالها الاجرامية!!، لأننا نعيش في شريعة الغاب التي يسيطر فيها القوي على الضعيف، ما يعني أن معرفتنا مع أميركا الداعمة لإسرائيل، وإن ظهرت بعض تصريحات الشجب والاستنكار الدولية ضد مشاريع الاستيطان الإسرائيلية، إلا أنها فقاعات سياسية يراد بها باطل.

أما المصالحة الفلسطينية، فمنذ اليوم الأول للهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة تحركت الجماهير الفلسطينية بكل أطيافها ونزلت إلى الشوارع مطالبة بإعادة اللحمة والوحدة الوطنية الفلسطينية، ولكن ما هي استحقاقات المصالحة؟

إن تلك التحركات من الناحية الشكلية جيدة، أما من الناحية الجوهرية فهي صعبة التطبيق، وقد أتت كهبة ترتبط بالعواطف أكثر من المضمون، وتتجسد ارتباطاً بالنظريات بعيداً عن التطبيق؛ فهناك فرق شاسع ما بين النظرية والتطبيق.

المصالحة تحتاج إلى كثير من التطبيقات التي تتمحور في إطار التنازل عن المصالح الحزبية والرسمية في كلا الاتجاهين.

فالمسيرات الانفعالية التي لا ترتسم ضمن إطار التطبيق العملي على أرض الواقع هي نظريات بامتياز، ما يتطلب من الجميع الترفع عن المناصب والمصالح الحزبية، حينئذ نستطيع القول إن هناك مصالحة.

وفي حال بقيت التطلعات الفلسطينية تتربع بين ثنانيا الازدواجية الحزبية والمناصب الرسمية، سيزداد الانقسام الفلسطيني تشظياً من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

إذن، بما أن العالم حشد كل قواه للتصويت لصالح فلسطين في الأمم المتحدة، أفلا يستطيع الشعب الفلسطيني حشد قواه لإنهاء صفحة الانقسام؟

مراكز البحث العلمي وأهميتها في حياتنا الثقافية

• عبد الحميد غانم

حيث غياب الهدف، وتعثّر الخطوات، والارتجال السائد في بعض المؤسسات، مما يجعل الطابع المؤسسي وروح فريق العمل تغيّب.

وقد تنامي الاهتمام بمراكز الأبحاث والدراسات في واقعنا المعاصر، وأصبحت محل حديث عنها بشكل واضح منذ بداية تسعينيات القرن الماضي. واتسعت دائرة نشاطاتها من حيث الحجم الكمي، ومن حيث نوعية المساهمات التي تقدمها. ولقد تولّى القطاع الخاص إنشاء مراكز دراسات ومعلومات وأبحاث متنوعة ومتخصصة، كمبادرات نوعية في عدد من البلدان؛ حتى أصبحت جزءاً من المكونات الثقافية في عدد من الدول.

سلبيات ومعوقات البحث العلمي العربي

ومن المعوقات والسلبيات التي تواجه المؤسسات البحثية والثقافية والعلمية عموماً:

١ - قلة مراكز الأبحاث التي تتناول دراسة الموضوعات باستقلالية وموضوعية ومهنية صرفة.

٢ - إن معظم مراكز الأبحاث في عالمنا العربي ترتبط بالشخص ورؤيته الفردية، وغياب القرار الجماعي المؤسسي، مما يؤدي إلى انحراف المراكز غالباً عن أهدافها، وتسخيرها وتسييرها وفق نزعات خاصة بعيدة بعلمتها عن الموضوعية والعلمية.

٣ - الوضع الذي تعاني منه الكثير من المجتمعات في الوقت الراهن، مما انعكس سلباً على نفسية المثقف، وعلى نوعية إسهاماته البحثية، وبالمحصلة على عمل مراكز الأبحاث ونمطيتها.

٤ - عدم وضوح الوظيفة؛ فالكثير من هذه المراكز تتصف بغياب الفكرة، وارتباك الاستراتيجية مما يؤدي إلى خلل في المسار؛ ذلك أن المقدمات الخاطئة لا بد وأن تكون نتائجها خاطئة.

٥ - عدم وضوح الهدف؛ فكثير من المراكز لا يعرف وجهته هل هي: ثقافية، اقتصادية، إدارية، إلخ، أم أنها مشتركة معاً.

٦ - البعد عن الواقع والمحيط الذي تعيش فيه هذه المؤسسات البحثية والعلمية؛ حيث تفتقر الكثير من هذه المراكز إلى آليات حقيقية مبنية على أسس علمية لمعالجة واقعها الذي تدور في فلكه، وعالمها المحيط الذي يجب أن يكون المبتغى من العمل.

٧ - الاضطراب الإداري والمالي لكثير من هذه المراكز والمؤسسات؛ حيث لم تبن على نحو إداري محكم، ولم تخصص لها الأموال اللازمة لإيصال رسالتها الحضارية.

إن هذا التشخيص للمعوقات لا يعني إيقاف عجلة البحث العلمي، أو أنه لا يوجد عمل دؤوب ملموس على الأرض؛ وإنما الغاية منه تشخيص العلة لمعالجتها إن وجدت، وتفاديها في العمل المراد الشروع به مستقبلاً.

غير أن الدور الذي اضطلعت به المراكز البحثية في الوطن العربي، مختلف عما هو عليه الأمر في الغرب؛ وذلك بسبب المعوقات والمصاعب والتحديات التي تواجهها، ولأنها لم تتبوأ مكانها الحقيقي، ولم تمارس دورها الحيوي في المشاركة في صنع القرار أو في تقديم ما يلزم من مشورة ومن دراسات رصينة. وبدا دور معظمها "باهتاً" وغير فاعل في عملية التنمية المجتمعية بأبعادها كافة،

البقيةص ١٥

القرارات ورسم السياسات. دور مراكز الأبحاث في خدمة المعرفة والثقافة لا شك أن الدور الذي تنهض به مراكز الأبحاث هو أساس النهوض الحضاري للمجتمعات، والتخطيط الاستراتيجي، والعمل العلمي المنهج المبني على أسس وخطا منتظمة محددة المسار، واضحة الهدف، منتظمة في نسقها، واقعية في طرحها، وعملية في معالجتها للمواضيع قيد البحث.

ويتمثل دور مراكز الأبحاث بالوظائف التالية: وظيفة البحث عن الحقائق ووضعها في إطارها العلمي؛ وذلك من خلال تحليل الواقع، وتقديم رؤى مستقبلية للنهوض بواقع جديد أو تطوير الحالي إلى مستوى أفضل، وفق مرجعيات أكاديمية واستراتيجية بعيداً عن الارتجال، أو النظرة الأحادية، وتعد من أهم وظائف مراكز الأبحاث، على الرغم من أن الحقائق في البحث العلمي نسبية وغير مطلقة، ثم تطوير هذه الحقيقة بعد طرحها للنقاش ودراستها من كل الجوانب، والإضافة عليها، ورفدها بكل ما هو مفيد وجديد؛ حتى تتكامل ملامحها، ويمكن إنزالها وتطبيقها على الواقع والإفادة من مردود تطبيقها.

مراكز الأبحاث ليست مجرد مراكز لتجميع المعلومات، ولكنها مراكز لإنتاج الأفكار، وعملية صنع الأفكار لا تتم للأفكار ذاتها؛ فالفكر له علاقة حتمية بالواقع؛ وما ليس له تأثير في الواقع فلا قيمة له.

غاية مراكز الأبحاث ليست مجرد صناعة الفكرة؛ بل إيجاد السبيل لإنزالها، وتطبيقها، وقياس مدى فاعليتها في شتى مجالات الحياة.

أهداف مراكز الأبحاث

يسعى البحث العلمي إلى اكتشاف حقيقة موضوع معين ومعرفة القواعد التي تحكمه. ومعرفة أهمية البحث العلمي، تقودنا إلى أن نقف عند الأهداف الرئيسية التي تسعى إليها مراكز الأبحاث العلمية، التي يمكن إجمالها بالآتي:

١ - فهم قوانين الطبيعة، والسيطرة عليها، وتوجيهها لخدمة الإنسان.

٢ - دراسة الظواهر المختلفة، واستنباط قوانين عامة أو نظريات تفسير تلك الظواهر والعلاقات التي تحكمها، ومن ثم إمكانية التنبؤ والتحكم بها.

٣ - إيجاد حلول للمشكلات المختلفة التي تواجه الإنسان في تعامله مع البيئة التي يعيش فيها.

٤ - تطوير المعرفة الإنسانية بالبيئة المحيطة بأبعادها كافة، وجوانبها الطبيعية، والاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، والتكنولوجية، والإدارية وغيرها.

مراكز الأبحاث في الوطن العربي

على الرغم من تأثر الأجواء الثقافية في وطننا العربي، بما هو سائد في الأوساط الثقافية الغربية ونحوها، من حيث انتقال فكرة مراكز الأبحاث العلمية والمؤسسات المعنية بالدراسات من الغرب إلى منطقتنا، غير أننا غالباً لا نلمس ثمرة هذه المؤسسات في أغلب الأوساط، مع عدم وجود تفاعل حقيقي بين هذه المؤسسات والشرائح التي يجب أن تستهدفها بعملها؛ لذا أضحت الكثير من هذه المراكز في وطننا العربي تحمل العناوين دون المضامين، وأخذت تشكل نوعاً من الترف الفكري،

ومن مركز إلى آخر. وقد صاحب هذه الظاهرة تزايد المؤتمرات العلمية والأكاديمية والمنشورات العلمية. وهي تبحث في مختلف شؤون الحياة المحلية والإقليمية والدولية؛ في ظل التغيرات الرئيسية الجارية في المنطقة والعالم عموماً. إلا أن انتشار هذه المراكز، والاهتمام بها؛ قد تحققاً بعد أن اكتسبت المراكز البحثية في الغرب - وخصوصاً في الولايات المتحدة - خبرة واسعة ونجاحاً باهراً ومكانة مرموقة. فصارت تؤدي دوراً بارزاً في دعم مؤسسات صنع القرار السياسي، وإعداد الدراسات، وتحليل السياسات العامة والقضايا الهامة. وقد سُميت تلك المراكز "التيك تانكس" - Think Tanks، وأصبحت عاملاً هاماً في تحديد أوليات القضايا الاستراتيجية التي تواجه الولايات المتحدة. وأضحى لها تأثير مباشر وغير مباشر في مراكز صنع القرار هناك؛ سواء كان ذلك على المستوى الداخلي أو الخارجي. وهو ما يظهر، على سبيل المثال، بصورة واضحة في السياسة الخارجية الأميركية.

أهمية عمل مراكز البحث

لا يخفى على أي مثقف، ما لمراكز الأبحاث والمؤسسات الثقافية والعلمية من دور في نشر المعرفة والثقافة بين البشر، وكذلك في نقل البلدان التي ترعاها نقلاً ممنهجاً ومبرمجاً من مرحلة تطور إلى أخرى، وبمقدرات نوعية كبرى على مختلف الصعد؛ لما لهذه المراكز والمؤسسات من فاعلية وأثر في تقدم الشعوب ورقبها، والوظيفة التي تنهض بها هذه المراكز والمؤسسات والدور الحيوي لهذه المراكز والمؤسسات في النهوض والتطور الذي تشهده المجتمعات.

وقد تزايد الاهتمام بمراكز الأبحاث والدراسات عالمياً على نحو واضح وملحوظ في العقود الأخيرة من القرن العشرين، إذ أصبحت تمثل أحد الدلائل الهامة على تطور الدولة وتقييمها للبحث العلمي واستشرافها آفاق المستقبل؛ وذلك وفق المنظور المعرفي لتطور المجتمعات الإنسانية عموماً، وانطلاقاً من عد تلك المراكز مؤشراً للمنجزات الحضارية والنهضوية والثقافية، وعنواناً للتقدم وأحد مؤشرات في التنمية ورسم السياسات.

وتعد عملية دراسة القضايا والمشكلات التي تواجه المجتمع والدولة وتحليلها، من أهم الأدوار التي تضطلع بها المراكز البحثية عموماً؛ إذ تهدف من خلالها إلى معرفة الأسباب التي تكمن وراءها، وبلورة الرؤى والمقترحات العلمية المتعلقة بها، ووضع الحلول المناسبة.

وقد أصبح للمراكز البحثية دور رائد ومتقدم في قيادة السياسات العالمية، وصارت أداة رئيسة لإنتاج العديد من المشاريع الاستراتيجية الفاعلة.

كما أصبحت مراكز الأبحاث والدراسات جزءاً لا يتجزأ من المشهد السياسي والتنموي في العديد من البلدان المتقدمة. وقد لا نبالغ إذا قلنا إن لها دوراً أساسياً في نهوض الأمم وتقدم الشعوب نحو تحقيق أهدافها؛ إذ ارتقت تلك المراكز الحديثة إلى حد، أصبحت فيه أحد الفاعلين في رسم التوجهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية؛ وأحد المؤثرين فيها، وأحد المشاركين في وضع الحلول لها؛ وذلك من خلال توظيف البحث العلمي في خدمة قضايا المجتمع، بتقديم الرؤى وطرح البدائل والخيارات، بما يدعم عمليات صنع

لاشك أن العدوان الصهيوني الأخير الذي استهدف أحد مراكز البحوث العلمية السورية في جمرانيا يعكس الكثير من الدلالات؛ أبرزها أن العدو الصهيوني يريد تدمير معالم المعرفة والتقدم العلمي والثقافي للأمة العربية، وأن الاستهداف الصهيوني للشخصية والهوية العربية يستلزم القضاء على مراكز البحث نظراً لدورها الكبير في حياة الأمة وتقدمها وتطورها.

نشأة مراكز الأبحاث

تعود نشأة مراكز الأبحاث إلى بزوغ الحضارة الإسلامية، وكان أول مراكز الأبحاث هو بيت الحكمة، الذي شيد بنيانه في العصر العباسي الأول بأمر من الخليفة هارون الرشيد كقوة مركز أبحاث، وعداً آنذاك قفزة نوعية في العلم والفكر، حيث قام بالأبحاث العلمية الطبية والفلسفية، فضلاً عن الترجمة ونقل العلوم والأفكار من ثقافات الحضارات السابقة والمعاصرة إلى اللغة العربية؛ لينتج عن هذا التراكم المعرفي، والكم العلمي جيل من أبناء الدولة الإسلامية.

أما النشأة الحديثة لمراكز الأبحاث، فكان أول ظهور لها مع بداية نشوء أولى الجامعات الأوروبية في القرن الثاني عشر الميلادي، حيث ظهرت فيها الكراسي العلمية، وكان اهتمامها منصباً على الدراسات الشرقية.

إن البداية الحقيقية من الناحية الفكرية لمراكز الأبحاث كانت لفرض إنتاج الأفكار، وتناول الموضوعات العلمية، وكان الساسة يستفيدون منها، لكن الوضع تطور خلال القرنين ١٨ و١٩م، وبالتحديد أوائل القرن ١٩؛ حيث ظهرت مراكز الأبحاث المستقلة عن الجامعات، وكان تسخير الأبحاث فيها لخدمة السياسة، وكانت باكورة هذا التوجه تأسيس المعهد الملكي للدراسات الدفاعية ببريطانيا سنة ١٨٣١، ثم توالى ظهور مراكز أبحاث أخرى في أماكن عدة، منها الولايات المتحدة مثل معهد راسل للحكمة، ومركز بروكنز الذي أسس سنة ١٩١٤.

بعد هذا استقلت مراكز الأبحاث، وأصبحت متعددة الوظائف كل بحسب اختصاصه، لكن بقيت لها صفة الريادة والقيادة في العالم؛ حتى أصبح بعضها يسمى بالمرصد الفكرية؛ وهي التي توجه العديد من حكومات دول العالم الآن.

ظهر نمط جديد من مراكز الأبحاث في الآونة الأخيرة يسمى مراكز الأبحاث المؤسسية، وهو أن يكون لكل مؤسسة مركز أبحاث خاص بها، والغاية منها وضع المسار المستقبلي واستراتيجية العمل للمؤسسة، وسبل ترشيده وتوظيفه؛ للوصول بالمؤسسة إلى الحالة المثلى.

ومن المعروف أن لكل مركز من هذه المراكز أسلوبه ومنهجه الخاص في العمل، فضلاً عن استخدام أكثر من منهج علمي في طريقة دراسة المادة العلمية والموضوع المراد بحثه وتناوله، وأن تنوع هذه المناهج أدى إلى التنوع في أساليب البحث، وكل مؤسسة ومركز بحثي يستخدم أسلوباً معيناً تبعاً لاختصاصه، كما سنفضل ذلك لاحقاً؛ فمنهج البحث العلمي هو الطريق والأسلوب المتبع في تقصي الحقائق العلمية في أي ميدان فكري، وثقافي نظري أو علمي.

وتختلف أسباب تطور المراكز من بلد إلى آخر،

الطعم والصنارة

• مالك صقور

ثمة شيء سيشتعل
ثمة شيء سيحترق
ثمة شيء سينفجر
ثمة أمر خطر، يدبر
ثمة كابوس مرعب قادم، وكارثة تدق الأبواب.

وهي، بإحساس قلب الأم الذي لا يخطئ أدركت أن ولديها في خطر.

وهي، مثل أي زوجة صالحة، صادقة، أمينة، وفيّة، تأكدت من زوغان زوجها.

قبل حين، حاولت جاهدة، أن تقنع زوجها وولديها، بأنهم يلعبون بالنار. ومن يلعب بالنار سيحترق. قالوا لها: عليك بنفسك. اعني بابنتك، وببيتك. اذهبي إلى مدرستك. واتركي للرجال أعمالهم. لجأت إلى أبيها، قال: سأقدم النصيحة. استنجدت بذوي زوجها، وأصيبت بخيبة أمل فاجحة.

بقي أمامها، حل واحد. وأمل واحد. أن تنقذ ولديها على الأقل. بعد أن أغلق زوجها عقله. وغاب وعيه، وفقد صوابه، وأصيب بعمى البصر والبصيرة.

وقعت بين نارين: إما أن تسكت، وهي ترى الكارثة بأعينها وأن زوجها وولديها حطب هذه الكارثة ووقودها، أو تبليغ الجهات المعنية، فتحصل فضيحة كبيرة، بأن الحاجة المدرسة عائشة فضحت زوجها، وسلّمت ولديها، وخانت الأمانة والعهد والشرف وبيت الزوجية..

وبقيت في دوامة قاتلة، أفقدتها صوابها. وحين حسمت أمرها وقررت الذهاب للإبلاغ عنهم، كي تحفظ سلامتهم، وتريح ضميرها وتعمل على بقاء ولديها على قيد الحياة ولو في السجن، تمت المباغثة، قدحت الشرارة، والحرب اندلعت، وكان ولداها وزوجها في المقدمة، فوقعت بالندم القاتل على ترددتها، الذي أدى إلى التأخير، ولم تستطع أن تمنع ولديها من التورط في سفك الدم البشري.

•••

تعارفا في جامعة دمشق. في كلية الشريعة. تحابا، وتمت الخطوبة في السنة الأخيرة في الجامعة. بعد التخرج تزوجا، وأنجبا ثلاثة أولاد: خالد وخلدون وخولة. عاشوا في وئام وحب، كانت الزوجة الصالحة، والمدرسة المتفانية في عملها، أحبها طلابها وطالباتها حتى العشق. كان مثلها الأعلى من النساء مريم وخديجة وأسماء وعائشة وفاطمة، حفظت سيرتهن وعلمت طالباتها، مآثرهن، وفي البيت كانت تستقبل الطالبات وأمهاتهن، وتعظهن، وتعلمهن ما تلقته في كلية الشريعة، من أصول الدين الحنيف، وكانت تحضن على العفة والحشمة والاستقامة، وعن دور المرأة في المجتمع.

•••

حلمت بزيارة مكة المكرمة، لتؤدي فريضة الحج، فاصطحبها زوجها معه مرة، وكانت هي المرة الأولى والأخيرة. فرحت بكل المؤمنين اللاتي أدين فريضة الحج، فرحت بالطواف حول البيت العتيق، وزيارة منى الرسول الأعظم. لكن حزنا مضاجنا سربله، قالت له: «منذ الطفولة كنت صورة عن مكة ويثرب، حلمت أن أرى مكة رسول الله، فلم أجد شيئاً مما قرأت عن مكة، ولم أجد شيئاً مما تخيلته عن مسرح الإسلام والدعوة، وبيت الرسول ومسجده، ولا عن بيوت الصحابة. يا حاج، حلمت أن أرى مكة رسول الله، والصحابة، فأذ بي أرى مدينة لا علاقة لها بالإسلام. إنها مدينة المغول من بني آل سعود». قال لها: «وجدك التي ترين ذلك؟» قالت: «هذه ليست مكة رسول الله. هذه مدينة أبراج عالية، وفنادق غربية، لم أر أثراً واحداً للإسلام»، فامتعص وقال: «جهزي الحقائق».

•••

بعد تلك الحجة اليتيمة، لم تطلب الذهاب إلى الحج، وبقي هو مواظباً على الحج كل عام، وفي بعض الأعوام كان يذهب أكثر من مرة بحجة العمرة. كان يذهب حاملاً محملاً، ويعود حاملاً محملاً، في البداية كان يقول (هدايا)، وعندما زادت الحمولات عن حدها، سألته، فقال: (ولكم فيها منافع). عرفت أنه يعمل بالتجارة. قالت له ذات يوم: «ما دخل المال شيئاً إلا وأفسده»، قال لها: «أتقصدين التجارة؟ حبيبتك رسول الله، عمل بالتجارة». قالت له: «لكننا لسنا بحاجة، فأنت وأنا ندرس مادة التربية الدينية، ونعرف، أنا وأنت، أكثر من غيرنا الحلال والحرام». ثم تلت الآية: «من كان منكم غنياً فليستعفف». فامتعص وخرج.. وصفق الباب خلفه بقوة، فعرفت أنه غضب، ولا يرضى بالحوار. في الحجة الأخيرة، وبعد استقباله، فوجئ الجيران، مثل الزوجة، أنه أتى بطلاء، ومسح عبارات الاستقبال، والمباركة،

ومنها: (من زار قبري وجبت له شفاعتي). وترك: حجاً مبروراً، وسعيًا مشكوراً. بعد ذلك، فوجئت باستقالته من التدريس، ليعمل أعمالاً حرة. قالت له: كنت أتوقع أن تتفرغ للعلم والعبادة، وتعليم طلابك التقوى، وأن تصبح إماماً للمسجد، فامتعص، وغضب، وقال: «ثمة من يقوم بهذا، لدي أعمال جهادية، أعظم من ذلك»، عندئذ تيقنت الحاجة عائشة، أن زوجها يخفي عنها أشياء كثيرة، وقد قطعت الشك باليقين من سلوك ولديها، اللذين يعملان شيئاً بالخفاء مع أبيهما.

توجست الحاجة عائشة خيفة، وحزنت، وذات ليلة رمضان، فاتحت ولديها وزوجها، قالت: «نحن عائلة محافظة، ولقد درسنا الشريعة، والأصول، بيني وبينكم كتاب الله، وسنة رسوله، وأنا ربيتكم على التقوى. إنكم تظهرون الصوم، وتخفون عني أنكم مفطرون، ثم: أحذركم من اللعب بالنار». قالوا لها: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها». عرفت الحاجة عائشة بحدسها، أن ولديها سارا في الطريق الخطأ، والمسؤول الأول هو الأب الذي تغير تماماً. وازداد خوفها، عندما بدأ زوجها يغير معالم الحديقة، ويدخل تعديلات على الطابق السفلي. القبو. إذ جعل له باباً كبيراً، بحجة أن المستودع صغير، ولديه من البضائع الكثير، ولا يكفي للخزن. ارتابت أكثر، عندما صارت السيارات الشاحنة تدخل إلى المستودع وتفرغ حمولتها، وتخرج فارغة، صناديق كثيرة كبيرة خشبية، علب من مختلف الأحجام ملأت (القبو)، وعندما سألتها، أية بضائع تجارية، تحبس في المستودع، ولا توزع، والتجارة بالشراء والبيع والحركة. قال: هكذا تقتضي التجارة. فثمة أكثر من محل، هناك يتم التوزيع، وهناك يتم التوزيع، لوقت الحاجة، وارتفاع الأسعار.

قبل سنة من اندلاع المعارك، فوجئت الحاجة، بجرافة، وآليات وورشة عمل، ومهندسين، على رأسهم رئيس البلدية، يومئذ قالوا لها: إن المصلحة العامة تقتضي حفر قناة للصرف الصحي، تصل إلى البحر، تم العمل بسرعة فائقة، وأعيدت الحديقة أفضل مما كانت عليه، حتى أتوا بأشجار جاهزة، منها ثلاث نخلات. عرفت فيما بعد، أن القناة لم تصل إلى البحر؛ بل جعلوا لها مخرجاً في أحد البيوت الزراعية البلاستيكية على بعد خمسمئة متر من البيت. وعندما لم تستطع السكوت، فاتحت زوجها، بأنها تعرف كل شيء، وأنها تخاف على أولادها، وأنه معها قد ساروا على الطريق الذي سيودي بهم إلى التهلكة، وأن النفق الذي حضروه سيودي بهم إلى الجحيم. غاب ثوان، وعاد بخفة، يحمل ساطوراً، رفعه في وجهها مهدداً، وقال: أمرنا بالجهاد. صاحت: أي جهاد؟ ضد من؟! شدها من شعرها، وقال: ضد كل الكفار. يجب إعادة البلاد إلى الخلافة الإسلامية. وسنعلن هذه المدينة إمارة إسلامية، فلئتو سقطت منهاره.

بعد أسبوعين، استعادت قواها، وعندما خرجت من المشفى إلى النقاهة، فوجئت بقطع خط الهاتف. وأن هاتفها المحمول قد ضاع، وأصبحت وغدت وأمست حبيسة المنزل. مرت ثلاثة شهور على الحادثة، أرادت أن تقنع زوجها، أنها نسيت الموضوع، كي تأمن جانبه، ولكي يطمئن أكثر، قالت: «الخير فيما يختاره الله».

•••

ذات ليلة، وقبيل صباح الدم، أحست الحاجة بهرج ومرج، ولغظ، وحركة غير عادية، في المنزل والحديقة والقبو. فتظاهرت بالنوم. وبعد منتصف الليل، تسللت حافية إلى القبو. المستودع.

حبست أنفاسها، ونظرت من شق صغير في نافذته من جهة الدرج، ذعرت، وارتدت إلى الخلف، وقف شعرها، كادت أن تصرخ أو تقع مغشياً عليها. رأت رهطاً من أناس غرباء، أشكالهم لا تشبه رجال مدينتها، لحاهم طويلة حتى خصورهم، شقراء، حمراء، سوداء، على رؤوسهن شارة (جبهة النصر)، يضحون ويمرحون، ويغنون، يتناولون الكحول، ويلعبون بالبنادق، ساعتئذ حسمت أمرها، بأن التبليغ عنهم صار واجباً دينياً، واجباً أخلاقياً، واجباً وطنياً... وليكن ما يكون.. طلاق. فضيحة.. فما عاد يهمها شيء. إلا خالد وخلدون، مهما أن تنقذ ولديها من التورط بسفك الدم. فإن قبعوا في السجن، أفضل من أن يقتلوا ويقتلوا مجاناً، بعد أن يرتكبوا جريمة قتل الأبرياء، لكن سبق السيف العزل.

•••

كانت بانياس المدينة الساحلية الجميلة الوادعة تستقبل صيفاً آخر. لا يعكر صفوها، سوى مداخل المحطة الحرارية، ومصفاة النفط.

الخصوصية بين ثقافة العولمة والهوية

دعت العولمة أبواب العالم الثالث بمطرقة ثورة الاتصالات.. شرعت لها أبواب كثيرة لا تعد ولا تحصى، وأغلقت في وجهها الوحشي نوافذ وأبواب.

العولمة بمفهومها العلمي نتيجة طبيعية للتطور الرأسمالي، وبمفهوم فضل القيمة والنهب والاستغلال، تسعى إلى تفتيت العالم إلى مجموعات بشرية واجتماعية واثنية، متعادية ومتناقضة، شكلت خناقاً حبس الأكسجين عن رنات العالم النامي. ومحاولة تفكيكه وتجزئته إلى دويلات لا فعل لها ولا دور، ما أثر مباشرة في البنى الوظيفية والثقافية لهذه الدول. وجاءت ردود الفعل قوية في صعود الأصولية الدينية وانتشارها الأخطبوطي وظهور الإرهاب العالمي.

وتحقق العولمة هدفين رئيسيين هما: أولاً: التركيز على التجديد والتطوير والإبداع داخل المنظومة الرأسمالية. والهدف الثاني، يتمثل في الهيمنة الخارجية من أجل تحقيق السيطرة العسكرية والسياسية والثقافية. ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف - حسب رؤية المنظرين الرأسماليين - إلا بمحو الخصوصية الثقافية والفكرية للعالم الثالث أو (النامي). وإلغاء الحدود القومية ونشر النمط السلوكي الرأسمالي، وتعميم الثقافة الرأسمالية أو ما يطلق عليها (ثقافة الأمركة) أو (ثقافة العولمة)، والتي تعرف بأنها (الثقافة السمية - البصرية التي تحطم الحاجز اللغوي وتصل إلى الناس في عقر دارهم). وتتحكم فيها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي واليابان، والشركات المتعددة الجنسية، والمنظمات الدولية. ويرمز مصطلح (العولمة الثقافية) بعد ثورة الاتصالات التي حوّلت العالم إلى (قرية صغيرة). وتعني هذه الثقافة إيجاد التقارب بين ثقافات شعوب الكرة الأرضية في القارات الخمس، والوصول إلى حالة الذوبان والانصهار وإزالة الفوارق بينها.

وتطورت آليات هذا التقارب بشكل متسارع بين الجهات الأربع، بسبب تطور وسائل الاتصال المرئي والمقروء والمسموع بلا أي عوائق وعقبات.

إن عولمة العالم تعني (تنميته). أما الهوية فتعني (الخصوصية). ولكل شعب من شعوب العالم (صغيراً كان أم كبيراً) نمط حياة خاص به وطريقة في العيش وأسلوب خاص في الحياة. وتحاول العولمة المتوحشة أن تنهج نهجاً مغايراً لحياة البشر، وتسليع الإنسان كأي سلعة في السوق الرأسمالية، التي تستعين بالثقافة الاستهلاكية وتجعلها عاملاً مساعداً لفرصها ونجاحها وتبعيةها الكاملة. وهي تنظر إلى العالم الثالث كعالم استهلاكي (يستهلك أكثر مما ينتج، ويستورد أكثر مما يصدر، ويسلم ثرواته للشركات الرأسمالية بأسعار زهيدة، ويفتح أسواقه أمام البضائع الرأسمالية).

لقد أصبحت الولايات المتحدة الدولة الإمبريالية الأولى في العالم، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وفشل التجربة الاشتراكية، الدولة المهيمنة بوصفها تشكل القطب الأوحده، في مطلع تسعينيات القرن الماضي.

ولم تنجح عولمة الثقافة وحتماً لن تنجح، وهي تختلف عن الليبرالية الاقتصادية و(عولمة الاقتصاد)، الذي له آليات مغايرة لآليات الثقافة. وكل شعب وأمة له لغته وتقاليد وعاداته وتاريخه وحضارته وفولكلوره وموروثه وشكل لباسه وطعامه وعلاقاته الاجتماعية. وتشكل جميعها حزمة واحدة بألوانها المتعددة.. تشكل هويته التي تتغاير مع هويات الآخرين بشكل جزئي أو كلي. وهذا لا يلغي التوافق في بعض جوانبها أو التشابه في جوانب أخرى. ورغم الاختلاف والاتفاق فالخصوصية (الهوية) يمكن تطويرها ولا يمكن تبديلها أو تغييرها. وهذا لا يعني بأي شكل من الأشكال التقوقع والعزلة وقطع حلقات الاتصال والتواصل بين شعوب وبلدان العالم المتنوع والمختلف، وبناء جدار عازل يفصل بين شعوب الأرض. إن التقارب الثقافي والمناقضة بين الدول مضى عليه عشرات القرون، بواسطة التجارة والرحلات والاستشراق والترجمة وغيرها، وازداد تفاعلاً بعد ثورة الاتصالات. وأصبح الشخص في المنطقة القطبية يعرف ما يجري في العالم وهو يشرب القهوة الصباحية. وهذا التقارب في هذه القرية الصغيرة هو الذي يجمع العالم ويؤدي إلى تطويره من جهة، ويدعو إلى المحافظة على خصوصيته وهويته دون الخضوع لثقافة معينة من جهة ثانية.

إن العولمة الرأسمالية المتوحشة تسعى بكل طاقتها وإمكاناتها، تطويع العالم وتسييره بإرادتها والهيمنة عليه واستغلاله وسرقة ثرواته وإلغاء الحدود بينه بعولمة اقتصاده وثقافته وإلغاء هويته.

عاشقاً لك القلب يمشي

• علي فرحان الدندح



ليس لأن الربيع تناثر فلأ، وغاز
مدى مُقلتيك،
فأنت كذلك
وليس لأن عيونك بحر
على ضفتيه تنام الطيور
وأني سياج البهاء الذي
يرتديك!!!
فأنت كذلك
وأنت كذلك!!!
وها هو همس ارتعاشك يُدني:
غداً موعد في الربيع الجميل
فيخضر عودك،
تمشين وجداً، وحباً، ونوراً،
وتنسين أمساً تناءى،
وعمرأ مضي عن
رصيف الأمانى،
ودرب كليل
× × ×
أحبك...
فالروح أنت،
ونبضي، وأهي،
وما يحتويني
أحبك كوني كما شئت
يا روح روعي هوأي الذي
صبوة يشتهيني!!!
× × ×
هكذا لغة العشق تروي
ما امتد عبر الوريد
إنك الآن تلك الفراشة التي
تمد لي جناحيها لكي أطيّر،
نطير معا،
على أرجوحة أفق
شعرٍ مديد!!!

أحبك ليس لأنك روح الدلال،
وسحر الجمال،
وروح الخضر!!!
فأنت كذلك...
وليس لأنك موج زمرّد
يبحر حيناً...
وحيناً يسافر...
نحو السفر!!!
× × ×
أحبك...
ليس لأن دموعك صد،
ووعد، وتيه
يفجر في عمق عمقي
ينابيع شوقي
ليوم جميل...!!!
× × ×
أحبك... ليس لأن الشتاء الطويل
الذي يرتدينا يجلجل في معصميه
بباقات دفاء،
يذيب صقيع القلوب الجواي،
ويهدم سد التجاي...
ويشعل غابات ثلج بصمت الضلوع
حبيبة شعري
عذرا لأنني أصيغك شعراً،
لأنني أكون كما شاء قلبي،
أحبك فيه كما شئت حتى
تكوني زلال ينابيع عمري،
وشعري الذي...
فاض عطراً بروحي،
وقلبي يزف طيوفاً من الوجد،
أنت طيوبي،
وبرق اشتياقي،
أحبك...

من أغنيات الغربية

• ناصر زين الدين

حيرة لاتحد

كأنك ما غبت عني يوماً
ولم ترتحل للأبد؟
قريب إلى جسدي كملاءة نومي،
والصق في الروح من ظل يومي،
كأنك تعويذة نُقشت فوق كفي،
ووشم بهي يزين خد.
يداك جناحاي،
عيناك روضة روعي
وحضنك أرجوحة من جنين وود.
كأنك ما غبت عني يوماً
ولم ترتحل للأبد!
ولكنني اغتبت ذكراك يا عاشقي،
وعرفت سواك،
فأحببت، عاشرت،
فارتقت بعدك سيلاً من العابرين
ويا لوعتي وبلاهة روعي!
فقد كنت أصغي لخطوك،
أبصر في الليل ظلك،
أعشق طيفك فيمن وفد.
أجن إذا ما لمحتك تضحك قربي
وتقتلني وحشتي
إن نزعتك من نبض قلبي،
فيا أماً يعصر الروح
يا حيرة لاتحد.
كأنك ما غبت عني يوماً،
ولم ترتحل للأبد؟

النجمة

النجمة الوحيدة البعيدة،
الضحكة الوضاعة الشريفة،
الوردة التي كانت على نافذتي
ترمقني في هداتي،
تمور عطراً
حينما ألمسها بكفي الوئيدة،
لما تزل تضيء دربي
حينما أبتدئ القصيدة .

امرأة الشجن

أنت أعرب
من هلوسات شجونتي،
وأخصب من واحة
في لياالي الضنى والحنين،
فلا علم لي
كيف يشرق طيفك
في خاطري،
واحتدام ظنونني.
من جحيم انفعالي
تظلين هادئة،
فيهدد قلبي أحزانه،
في رحلي المرير.
على درب هاويتي
تتجلين عنقاء هذا الزمان
فيمسي جناحك
للروح في ضيقها
سلوة وأمان.
وأغرق في قاع ياسي
فتأتين وارقة الظل
مثقلة بالغمام.
وحين أحلق
مستبشراً بالوصول إلى ذروتني
فرحاً بنسائم عطرك
يا نجمة في صحاري الكلام.
تخفتين سرايا،

كأنك ما كنت يوماً بقربي
وما كان ريحك يبهج قلبي
كأنك جنينة تعبتين
بهذا الفؤاد.
ففي شجوه أنت حاضرة
نجمة في السواد،
وأما تهلل من فرح
وتوسم طيفك،
ليس يراك سوى حفنة
من رماد.

قصيدة مرسومة

سودت هذي الصفحة البيضاء!
بخربشات ريشتي
بالهمس والصراخ والغناء،
بكل ما أوتيت من رعونة،
سودت هذي الصفحة البيضاء!
بهلوسات الأمس
بالحنين والبكاء.
بالرقص ما بين ركام غرفتي
بلوثة الجنون في زوايا عزلتي
سودت هذي الصفحة البيضاء.
أبحث في فضائها،
عن صحبة ودعتها،
عن روضة منسية سكنتها
وموطن فارقتها يفرق بالدماء!
أبحث في فضائها
عن لذة خبرتها
وامرأة ساحرة
تهش عن وسادتي
مرارة الخواء.
وحينما صحت من ثمالي،
وجدت فوق صفحتي،
قصيدة مرسومة
كهالة قدسية
تشع بالضياء.

يا عمر أسألك التاني؟

حتى ألمم
ما تناثر من هشيم الروح،
ما قد ضاع مني،
حتى أتمم ما بدأت
فهذه الدرب المريرة
أنهكت نفسي وظني،
يا عمر مهلاً
كي أعد على أصابعي الجريئة
ما خسرت وما كسبت،
أعد كل هزائمي،
والبعض ممن قد صحبت
على مسالك غربتي
وانفض عني،
يا عمر مهلاً
كي أودع من عشقت إلى ثراها
بعدهما هرمت على دربي
تود بأن تحل عينها برؤيا
تغفو فوق حضني،
يا عمر أسألك التاني
كي أستعيد توازني
وأحيل عن وجهي شحوباً مضنياً
وأبدد الأحزان
عن قلبي وعيني.
لكنني خجل أمامك أن أعد مباحجي
فأصابعي ستظل مغلقة،
ودمعي سوف يسفح التمني.

السهر الجميل

• محمد علي علي

قد قائلتها لي مرات عدة وأنا في وضوح النهار، فما الذي ستقوله لي في هداة هذا الليل...

الحقيقة أن هذا الجو الهادئ الساحر أغراني للبقاء فيه فترة أطول... صار الجو أكثر شاعرية.. أضواء شموع وصوت موسيقى هادئة عذبة... لعل قصة تأتيني فأكتبها، ولكن بلا جدوى...

لم أتمكن من الاستمرار على ضوء الشموع... أضأت الكهرباء، أطفأت الشموع... أعدت الشمعدان إلى مكانه بين الكتب المسطرة على الرفوف... تذكرت أن زوجتي كانت قد أحضرت عدداً من الورود من دكان بائع الزهور القريب من البناية التي نسينها... ذهبت إلى صالة المنزل أتيت بالزهريّة التي تحتوي الأزاهير، وضعتها على مكتبي. رائحة الورود الطبيعية ملأت هواء غرفتي الهادئ... أخذت أروح وأغدو في غرفة مكتبي... أنظر نحو الأسفل وكأنني أراقب قدمي اللتين تقودانني إلى الأمام وبلاطات أرض المنزل التي تتجه نحو الخلف... لا تزال الموسيقى الهادئة تريح أعصابي لكن دون أن أتمكن من كتابة قصة للمجلة التي أرسلها...

عدت وجلست على الكرسي خلف مكتبي... الحق أنني أحسست بالتعب والإرهاق وأحسست أن جسدي أخذ يتعرق من شدة الإجهاد... لكن النوم لا يقترب من جفوني وأنا لا أريد النوم..

× × ×

ذهبت إلى صالة المنزل، لأتفرج على التلفاز.. الأمر بسيط، فتحت شاشة التلفاز بواسطة جهاز التحكم... أه إنه البرنامج الذي أحبه! يا للمصادفة.. إنه عن الحيوانات المنقرضة /الديناصورات/ يا لهذه الحيوانات الضخمة، وأخذت أتفرج.. بعد فترة قصيرة تغير موضوع الديناصورات، إلى حيوانات مفترسة مؤنسة، الحيوانات تلاعب مدبرها، وهو يلاعبها أيضاً... يتمسح بوبرها الناعم.. إنه لا يخافها. الحق أن منظر هذه الحيوانات أغراني للتفرج أكثر، إلا أن الموضوع الذي يشغل بالي لا يزال يشغله... ماذا سأقول لرئيس تحرير المجلة التي أرسلها؟!

أغلقت جهاز التلفاز.. اتجهت إلى المطبخ... شربت ماء... جلست إلى طاولة الطعام. الحقيقة أنني لا أريد طعاماً. لا أحس بالجوع، معدتي ممتلئة بالسوائل التي شربتها في فترة المساء، وإذا كنت لا أريد الطعام، فهل هذا يمنع من جلوسي بعض الوقت؟! فتحت باب المطبخ.. خرجت إلى الشرفة.. الجو ساكن هادئ. جلست على كرسي الخيزران الموجود فيها... بدا لي الحي غارقاً في سباته وهدوئه وصمته، إلا أنا فإني لا أستطيع النوم، والأصح أنني لا أريد أن أنام الآن.. أريد أن أكتب قصة قصيرة للجريدة التي أرسلها، ومن واجبي أن أسلمها غداً للبريد الإلكتروني لتصل الجريدة في الوقت المناسب؛ ولكن أين هي القصة التي أريد كتابتها؟!

روعة الليل وهدوئه وجماله وجلاله أغرنتني للسير في دروب المدينة؛ ولكن أحداً لا يوجد في الدروب، إلا بعضاً من شبان عابثين يزجون أوقاتهم المهدورة، ويسهرون في مساءات الصيف الجميل.. ترددت في الخروج من منزلي... كيف لي أن أخرج حوالي الثالثة بعد منتصف الليل؟! وكيف سأدع منزلي وزوجتي وطفلي ينامون وحدهم فيه... ترددت كثيراً عن السير في ذلك الشارع الساكن الخالي.. أخيراً لم أجد نفسي إلا وأنا أفتح باب منزلي الخارجي، وأخرج ثم أرتج الباب خلفي... أنزل الدرجات الستين لسلم البناية التي أسكنها، على ضوء هاتفي النقال إلى أن وصلت مدخل البناية... خرجت إلى الشارع.. فوجئت أنني لم أكن الوحيد في هذا الليل الذي أخذ فجره بالظهور...

كان رجال كبار في السن قد بدؤوا بالخروج من منازلهم للمسير في هداة الفجر الساكن تحت أضواء كهرباء الشوارع، وضوء الشروق الذي أخذ يرتسم على أعالي البنائيات وذؤابات الأشجار.. مشيت بهدوء شديد على رصيف الشارع، قطعت مسافة لا أعرف قدرها.. أحسست بتعب في جسدي... عدت إلى منزلي... دخلت غرفة مكتبي، وما أن جلست على كرسيّ المصنوع من الجلد. حتى وفاني المحال... تذكرت أن القصة التي كانت قد حاصرتني في مرة سابقة ولم أكتبها تفاجئتني... مددت يدي إلى القلم الجميل وإلى الورق الصقيل وشرعت أكتب قصتي بعنوان /السهر الجميل./



وأعصابي... لم أنس القصة القصيرة التي يجب أن أرسلها غداً إلى المجلة التي أرسلها، ولكن أين هي هذه القصة؟! الحقيقة أنني لا أجد كتابة أية قصة أريد أن أوجدها أو أبتدعها... إن القصة الوحيدة التي أجد كتابتها هي تلك التي تلاحقني، ثم تحاصرني فأجد ذاتي عندئذ أكتب قصة جيدة؛ فأحس بالكثير من الراحة... أما الآن فإني أريد خلق قصة لا تحاصرني ولا تشغل بالي؛ ولذلك لا أجد في ذاتي القدرة على إبداعها. صوت الموسيقى الهادئة أراح أعصابي لكنه لم ينقلني إلى مرحلة أستطيع فيها كتابة قصتي..

× × ×

الساعة قاربت الثانية ليلاً... أرغب في ممارسة لعبة هي أقرب إلى غير الواقع.. تذكرت انقطاع الكهرباء في بعض الأحيان.. كنت يومئذ أشعل الشموع في مكتبي، فأحظى بجو شاعري جميل.. لا أحب أضواء (الشواحن الكهربائية)... أفراد أسرتي يحبون (الشاحن الكهربائي)، وربما يعيدون التيار بواسطة (البطارية) المخزنة للكهرباء.. قلت إذا لأجرب... أطفأت أنوار الكهرباء... ماذا لو استيقظت زوجتي الآن ووجدتني وأنا أجلس على ضوء الشموع في مكتبي؟! ماذا ستقول؟! لعلها تظن أنني قد جننت، ستقول لي ساعتئذ.. ماذا هناك يا إبراهيم تطفئ الكهرباء في مكتبك، وتشعل الشموع؟! وربما تذهب أفكارها إلى أبعد من ذلك فتظن أنني أسهر في هذا الليل لأتحدث مع زميلتي في الوظيفة... ولكن كيف لها أن تظن ذلك؟! الساعة بعد الثانية بعد منتصف الليل لا.. لا يمكن أن تأتيها مثل هذه الفكرة.. ربما راودتها فكرة أخرى.. قد تقول هؤلاء الكتاب لهم تصرفاتهم الخاصة... مثل هذه العبارة ومثيلاتها كانت

أجلس في غرفة مكتبي وقد جفاني النوم؛ لعل كؤوس الشاي والقهوة التي كنت احتسيتها قد جعلت أعصابي متوترة.. الساعة تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل... خلال النهار كنت قد أحضرت معي العدد الأخير من الجريدة التي أكتب فيها، لكنني حتى الآن لم أقرأها، وعلى الأقل لم أر ما تحتويه من الأفاصيص، ولم أعرف من هم الكتاب الذين كتبوا، ولا الشعراء الذين نظموا في هذا العدد.

أيضاً كان عليّ أن أقرأ القصص في العدد الأخير لمجلة للأطفال كنت قد اشتريتها أيضاً خلال النهار، كل هذا لم أقم به حتى الآن، والسبب هو: إن من واجبي كتابة قصة قصيرة لمجلة أرسلها؛ إلا أنني لا أحس في ذاتي القدرة على الكتابة.

أصاب أحياناً بالإحباط، لكنه في هذه المرة ليس الإحباط بذاته، وقد أصاب بشيء من السأم، فلا أجد نفسي قادراً على الكتابة، لكنه ليس السأم بعينه أيضاً... إن ما يحصل لي ليس ناشئاً عن تجارب متكررة لفشل متكرر حتى أصاب بالإحباط، ولا هو بالمل الذي يبعثني عن بغيثي فأصاب بالسأم الذي يوصلني إلى العجز عن الكتابة... أيضاً ليس هو باليأس!!... نادراً ما أصاب باليأس وبالأصح لا يمكن أن أسمح لنفسي أن تصاب باليأس؛ والسبب هو تصميمي على إنجاز ما أريد إنجاز.

أتذكر عندما كنت طالباً، أجرت مدرسة الرسم لنا نحن الطلاب المتفوقين بالمادة مسابقة لانتقاء أجمل الرسوم لعرضها في معرض نهاية العام الدراسي... انتابني إحساس بعدم قدرتي على إنجاز عمل جيد أستحق عليه التفوق، ولكنني على الرغم من ذلك لم أصب باليأس قط... أتذكر أنني بقيت ساهراً حتى الصباح... رسمت خلال ذلك الليل ثلاثة رسوم ومزقتها حتى استهديت إلى اللوحة التي نالت إعجابي أنا أولاً قبل أن تنال إعجاب لجنة التحكيم... ولشد ما كانت فرحتي كبيرة عندما فازت لوحتي بالمرتبة الأولى... إلا أن مدرسة الرسم التي كنت أحبها وأجلها واحترمتها... لحظت الإرهاق باد على وجهي فسألته:

- إبراهيم! لماذا تبدو شاحباً على غير العادة؟! قلت لها يومئذ إنني لم أنم حتى الآن... طوال الليل وأنا ساهر؛ لأنني كنت أريد أن أقدم بلوحة ترضيك... أتذكر يومئذ ابتسامتها وهي تخرج من محفظة يدها لوحة لأزهار برية وقدمتها لي هدية، وقالت: أنت شجاع ومجتهد.

× × ×

نهضت عن الكرسي من خلف مكتبي، وأخذت أمشي في الغرفة جيئة وذهاباً؛ لعل فكرة تأتيني فأكتب قصتي، ولكن لا فائدة... قلت لا بأس من سماع صوت موسيقى خفيفة... زوجتي وطفلاي ينامون في الغرفة المجاورة، إذا لا بد أن يكون الصوت خافتاً... فتحت جهاز التسجيل فوجئت بصوت موسيقى صاخبة... لا.. لا ليست هذه الأفضل... الأفضل موسيقى هادئة، وذات صوت خفيض... أدت زر جهاز التسجيل؛ فأصدر صوت موسيقى هادئة، وبصوت خفيض... هذا هو المطلوب.

الحقيقة أن صوت الموسيقى في هداة الليل قد هدأ من ثورة أعصابي المتوترة، والمشدودة أيضاً... عدت إلى مكتبي... أسندت رأسي إلى مسند الكرسي المصنوع من الجلد الطري؛ فأحسست بكثير من الارتياح... أغمضت عيني المتعبتين وغير الراغبين بالنوم بسبب انشغالي بكتابة القصة، تذكرت الحفلة الموسيقية التي كنت أحضرها لسماع موسيقى لموسيقيين عرب بارزين في دار الأوبرا في الأسبوع الماضي... كانت الموسيقى التي أسمعها الآن هي ذاتها التي عزفتها الفرقة الموسيقية الوطنية هناك... تذكرت كم كنت مرتاحاً يومئذ... صحيح أنني لا أجد العزف على أكثر الآلات الموسيقية؛ على الرغم من أنني كنت قد أجريت دورة لتعلم العزف على آلة الغيتار، إلا أن الآلة الموسيقية الوحيدة التي كانت قد استهوتني وأنا أحاول اختيار الآلة الأقرب لرغبتني هي آلة العود الشرقي، ولذلك فإن هذه الآلة الموسيقية موجودة في مكتبي، وأمارس هوايتي في العزف عليها كلما وجدت في نفسي رغبة في ذلك.

صوت الموسيقى ينساب بهدوء إلى مشاعري، وأحاسيسي

د. اسماعيل مروة؛

دورياتنا خضعت لمعايير ذاتية وأيديولوجية وإعلامنا ما زال بعيداً عن دائرة التأثير

• حوار: حسني هلال

تشرق الشمس بيننا. تقول أنت عن ديوانها: راقتي هذا الديوان شكلاً ومضموناً. وصايا عطر، شكلتها فتانة تشكيلية مبدعة، صاغتها بذوب إحساس أنثوي طاع.

السؤال: هل على الدارس والناقد أن يلقي الضوء على الشعر؟ على الشاعر؟ أم عليهما معاً؟ ثم كيف ترى حال الشعر عندنا اليوم؟

بالمصادفة وقفت عند قراءتي لديوان الشاعرة التشكيلية (رانيا كبراج). والشاعرة الحليبية رانيا كبراج لم أكن قد التقيتها عندما كتبت عن ديوانها. وصلني الديوان بالبريد، فقلت راقتي الديوان شكلاً ومضموناً، فقد قرأته، ووجدت

فيه شاعرة مختلفة، وتشكيلية مميزة، ومن ثم درست الديوان دراسة أوسع نشرت في مجلة «المعرفة» السورية الراقية، وحين عرفت الشاعرة ورأيت فنّها، وقرأت غير المنشور من شعرها وجدت أيضاً من الشعر، وقد أصدرت الشاعرة ديواناً جديداً (أرض وورد) - أما ذوب الإحساس الأنثوي فأمر له علاقة وطيدة بشعر المرأة عندما ندرسه عادة، وكثيراً ما تقرأ لشاعرة لا تنتمي بحسبها إلى العالم الأنثوي، ولا تعبر عن دقائق هذا العالم الجميل، أما رانيا فقد فعلت وبنجاح.. النقد تذوق وانطباع، وقد برع في ذلك عبد القادر الجرجاني، وابن سلام شبه النقد بعملية الصيرفة في مقدمة طبقات فحول الشعراء، وما سمي النقد نقداً إلا لأنه يشبه الصيرفة، والنقد والصيرفة يقومان على الخبرة والمعايينة..

وأنا أجد أن النص والشاعر قد يفرض أحدهما وجوده أكثر من الآخر، ولا ضير في العناية بالنص أو مبدع النص.

لا يجوز إهمال المبدع لصالح النص، كما لا يجوز إهمال النص لصالح العلاقة الشخصية مع المبدع، وبغض النظر عن النظريات النقدية القائلة بموت المؤلف أو حياته. أنا رجل أتذوق النص، وأجل جهد المبدع في إنجاز نصوصه.

أما حال الشعر فهو من حال الثقافة والأدب، فيه اللامع، وفيه الأقل، وفيه الباهت، لكنه يخضع لشروط الظرف الحالي أدباً وثقافة وحياء.

موسوعة لم نحسن استثمارها

هناك بين النقاد والأدباء والذويقة أيضاً، من يرى أدونيس مفكراً وفيلسوفاً أكثر منه شاعراً؟ فماذا ترى فيه أنت لاسيما وأنت من محبيه وكثيراً ما التقيته وحوارته وكتبت عنه؟

أسمع من يقول عن أدونيس إنه شاعر، وأسمع من يقول إنه: ليس شاعراً بل هو مفكر، والحقيقة أن هذه العبارات الإنشائية الجاهزة لا تحمل أي قيمة، فحكم القيمة مرفوض، ويدل على عدم قراءة وتمعن، أنا أشرف بأنني حظيت بعلاقة خاصة مع أدونيس، وأشرف أكثر بأطول

البقيةص ١٥



د. اسماعيل مروة

أن السماحية نحن من يصنعها، ورقبنا أخطر مما نتصور، وقد يأتيك أحدهم بخاطرة بسيطة، وعندما يعطيك إياها يوحى لك بأنها خطيرة وقد تخضع للمساءلة!! والسماحية تقتضي عند الكاتب والمشرف حساً دقيقاً، فثمة مسافة بين النقد والشمم والتجريح والتهريج، وهذا ما حرصت عليه في إشراحي على تحرير الشؤون الثقافية في كل مكان عملت فيه.

لأخبر أن يقول رأيه، أن يعبر عن نقده حتى وإن كان موجهاً إلي شخصياً أو لمؤسستي - وهناك شواهد - لا أتدخل في أسلوب الكتاب من داخل القسم أو خارجه، وملاحظاتي في إطار المهنية والتناول فقط.. وعندما أجد الكتابة غير جديرة مهنيًا أو أخلاقياً أنحيها جانباً ولا أنشرها..

أنا لا أستطيع أن أتحدث عن منبر أعمل فيه، والتقويم لعملي وعمل الفريق في الجريدة إيجاباً أو سلباً رهن رأي القارئ، قد أجد نقد نفسي ومراجعتها لكن لا أجد مدح عملي.

الأنوثة والشعر

يقول الأثاني «غوبلز» (رئيس إعلام هتلر) أعطني إعلاماً بلا ضمير أعطيك شعياً بلا وعي، ما قولك بما قاله غوبلز؟ وكيف تجد إعلامنا المحلي حالياً؟

مثل هذه العبارات ليست ذات جدوى، وتخضع لمزاج قائلها الأيديولوجي ومزاج المتلقي، فالإعلام كما تعلمناه وعلمناه رسالة بين مرسل ومتلق، ولا بد للرسالة أن تكون موجهة، فما من إعلام محايد، الإعلام المحايد لا قيمة له مطلقاً، ولا داعي لوجوده.. كما أنني لا أستسيغ الحكم الأخلاقي على الإعلام، فما أراه غير أخلاقي قد يراه الآخر أخلاقياً، وذلك حسب المرسل والمتلقي..

مما لا ريب فيه أن الإعلام مؤثر للغاية، لكن شريطة أن يمنح الإعلام دوره اللائق، وعلى المستوى العربي وليس المحلي وحده ما يزال إعلامنا بعيداً عن دائرة التأثير لافتقاده التقانة والوسائل اللازمة، ولو رأينا أي تميز على المستوى العربي، فذلك يعود لارتباط تقانة التميز مع المؤسسات الإعلامية العالمية الكبرى..

كثيراً من وسائل الإعلام يتم امتداحها من جهة ما إلى حد التخمّة، ولكن إن اقتربت من مادحها بأي نقد انقلبوا عليها بشكل كامل! فهل يملك هذا الإعلام ضميراً من قبل ولا يملكه من بعد حسب رأي غوبلز؟ لا أظن ذلك، ولا يجوز إصدار مثل هذه الأحكام الأخلاقية، خاصة إذا ما لمنا إشارتها إلى الشعب ووعيه.

تقول رانيا كبراج في ديوانها «وصايا العطر»:

حين نتبادل الأحزان والقبل

حين نتعاطى الوجد

ونقترب الهيام

على الرغم من رحيلهما منذ سنين، مازال ابن «معربا» اسماعيل اسماعيل مروة على وفائه لوالديه: يزورهما كل صباح، يشرب قهوته معهما قرب تربتهما، ويطلب منهما الرضا..

ما زال على عهده ووده لوالدتيه «خديجة» و«دمشق» أن يجلبهما ولا يخون الحليب والياسمين..

وما زال صاحب أطول حوار مع «أدونيس» مخلصاً لنزف قلمه وعزف فؤاده. اللذين أهدياه ما ينوف عن ثلاثين مدونة ومعزوفة، نقتطف من أجوائها ما يلي:

عملت في غير مجلة وصحيفة خاصة ورسمية في الأقسام الثقافية لفترات مختلفة.. كيف ترى حال صحافتنا المحلية؟

أنا لست في مكانة تخولني أن أقيم الصحافة والدوريات المحلية، فهذه الدوريات مسؤولون يتولونها وهم المسؤولون عن الإخفاق والنجاح، كل ما في الأمر أن الإعلام رسالة، ورسالة خطيرة للغاية، وهي غير حيادية، وبقدر ما تكون هذه الرسالة تمارس بحرية بقدر ما تؤدي غرضها، وتخدم أصحابها ومموليها، وإن كان من قول في دورياتنا، فإنها خضعت لمعايير ذاتية وأيديولوجية في كثير من الأحيان، فلم تعد مدرسة منجبة للأقلام كما كانت من قبل، وتنازلت عن شراكتها الحقيقية في صنع قرار الوطن.. الأمر يطول ولا يتعلق بدورية أو رئيس تحرير بقدر ما يتعلق بذهنية وعقلية لم تشأ أن تستفيد من الإعلام، وجعلته تابعا بدل أن يكون رائداً.

ويحكم اختصاصي أسأل: أين «الرسالة»؟ وأين «المضحك المبكي»؟ وأين «الدينيا»؟ بل أين مجلة «العربي» التي لا تزال تصدر، لكن دورها غاب وصوتها خفت؟

هناك عقبات حقيقية تقف أمام الإعلام المقروء، والثقافة منه خاصة، لا بد من معالجتها حتى يتمكن من مجاراة العصر والعقل..

فيما يخصني، ينحصر عملي في الإعلام القطاع الخاص داخل سورية وخارجها، ولم أكن ضمن الملاك في الإعلام الرسمي، لأنني أعمل أساساً في التدريس الجامعي، ومن الأدب دلفت إلى الإعلام الذي صار عشقي ومجال حركتي وكلمتي، ومن هنا ليس من حقي أن أتحدث عن آليات الإعلام الرسمي إلا متابعاً، فله فرسانه ومسؤولوه الذين أحترم تجاربهم وريادتهم.

كإعلامي وصحافي، ألا ترى أن جريدة «الوطن» تتمتع بقسط من السماحية، ربما لا تتمتع به بقية الصحف الخاصة ولا حتى الرسمية؟ قضية السماحية والحرية، وأخص الجانب غير الرسمي الذي أعمل فيه، هي قضية ذاتية، فمنذ بدأت الكتابة في الإعلام، حتى عندما كتبت لصحافة رسمية استكتاباً، لم يطلب مني أحد أن أكتب في توجه ما، ولم أجد حدوداً محددة، ولم يمنع لي حرف واحد منذ عام ١٩٨٥م حتى اليوم، ومعلوم ذلك التداخل بين ما هو ثقافي وما هو سياسي، وما هو فكري وأظن أنني عالجت موضوعات شائكة للغاية، وانتقدت، ولم يسألني أحد عما كتبت، ولم يعاتبني أحد، اللهم إلا صاحب القضية نفسه، فأنا أرى

ضمن سلسلة منشورات دار سعاد الصباح صدرت النسخة المعرّبة من كتاب (أعزف قلبي في مزمار خشبي) للشاعرة الإيرانية (فروغ فرخزاد)، وقد نقلها إلى العربية (موسى بيدج). وتأتي هذه الخطوة كنتيجة لاهتمام الدار بتعريب الإبداعات العالمية ومكان الإبداع في الثقافة العالمية لتقدمها إلى القارئ العربي. تعتبر فروغ فرخزاد من أشهر الشاعرات الإيرانيات، ولدت في (طبرش) عام ١٩٣٥، تفرغت للكتابة الشعرية بعد تعثر زواجها المبكر. من دواوينها: (الأسير ١٩٥٥) و (الجدار ١٩٦٢) و (ميلاد جديد ١٩٦٣). توفيت في حادث سير عام ١٩٦٧، إلا أن مجرد ذكر اسمها يعيد إلى الأذهان تجربة شاعرة متمردة جذبت الانتباه وتركت بصمة شعرية نسائية في سجل الشعر، وقد نُشر لها بعد وفاتها قصيدتها الشهيرة (لنؤمن ببداية موسم البرد) التي تعد من أقوى القصائد في الشعر الإيراني الحديث.



أعزف قلبي
في مزمار
خشبي

إبداعات جديدة

الناصح الأمين، والعالم النحرير.. رجاء بن حيوة

• عبد الحميد درويش

قال الغزالي في إحياء علوم الدين: مما يدل على حلم رجاء بن حيوة: أنه أتى عبد الملك بن مروان بأسارى فيهم ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة: ما ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم.

من كلماته:
الحلم أرفع من العقل؛ لأن الله تسمى به.
ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الحسد والفرح.

يقال: ما أحسن الإسلام يزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان يزينه التقى، وما أحسن التقى يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه الحلم، وما أحسن الحلم يزينه الرفق.

من لم يؤاخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه، قل صديقه، ومن لم يرض من صديقه إلا بإخلاصه له دام سخطه، ومن عاتب إخوانه على كل ذنب كثر عدوه.

قالوا عنه:

قال مطر الوراق: ما رأيت شامياً أفقه منه.
وقال مكحول: رجاء سيد أهل الشام في أنفسهم.
وقال مسلمة الأمير: برجاء وبأمثاله تنصر.
وقال ابن سعيد: كان رجاء فاضلاً، ثقة، كثير العلم.

وقال أبو أسامة: كان ابن عون إذا ذكّر من يُعجبه ذكر رجاء بن حيوة.

وقال ابن عون: لم أر مثل رجاء بالشام.
وسأل هشام بن عبد الملك فقال: من سيد فلسطين؟ قالوا: رجاء بن حيوة.

وفاته:

قال خليفة بن خياط في طبقاته: أن رجاء بن حيوة مات سنة اثنتي عشرة ومئة.
المراجع:

- إحياء علوم الدين للغزالي.
- تاريخ دمشق لابن عساکر.
- تذكرة الحفاظ للذهبي.
- تفسير الإمام القرطبي.
- حلية الأولياء للأصبهاني.
- الطبقات الكبرى لابن سعد.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- طبقات خليفة بن خياط.
- العلم لابن خيثمة.

دعوت رجاء رجلاً فدخلوا عليه. فقال لهم: إنني قد عهدت عهدي في هذه الصحيفة ودفعتها إلى رجاء وأمرته أمرى وهو في الصحيفة، اشهدوا واختموا الصحيفة؛ فختموا عليها وخرجوا، فلم يلبث سليمان أن مات؛ فكففت النساء عن الصياح وخرجت إلى الناس.

فقالوا: يا رجاء، كيف أمير المؤمنين؟ قلت: تعلمون منذ اشتكى أسكن منه الساعة قالوا: لله الحمد.

فقلت: أستم تعلمون أن هذا عهد أمير المؤمنين وتشهدون عليه؟

قالوا: بلى.

قلت: أفترضون به؟

قال هشام: إن كان فيه رجل من ولد عبد الملك والآ فلا.

قلت: فإن فيه رجل من ولد عبد الملك.

قال: فنعم إذاً.

قال: فدخلت، فمكثت ساعة، ثم قلت للنساء: اصرخن، وخرجت، فقرأت الكتاب والناس مجتمعون.

التقى الورع:

عن العلاء بن روية قال: كانت لي حاجة إلى رجاء بن حيوة فسألت عنه فقالوا: هو عند سليمان بن عبد الملك. قال: فلقيته فقال: ولى أمير المؤمنين اليوم ابن موهب القضاء ولو خيرت بين أن أتي وبين أن أحمل إلى حضرتي لا اخترت أن أحمل إلى حضرتي. قلت: إن الناس يقولون: إنك أنت الذي أشرت به.

قال: صدقوا. إنني نظرت للعامّة ولم أنظر له. ومن ورعه: أنه كان لا يُفتي خوفاً من الفتوى، فقد أورد ابن خيثمة في مؤلفه: العلم. كان رجاء ومحمد والقاسم شيئاً واحداً لا يكادون يفتون في الشيء.

الحب والبغض:

عن عبيد بن أبي السائب: حدثني أبي قال: قال لي رجاء بن حيوة: إذا أتيت بلال بن سعد فقل له: إن رجاء بعثني إليك وقد كره أن يقرأ عليك السلام ويقول: اللهم إنه بلغني أنك تكلم.

قال ابن السمرقندي: تكلمت بكلام من كلام المكذبين بمقادير الله، فإن كان وقع ذلك في نفسك شيء، وإن يك ذلك زيفاً أو خطأ فراجع من قريب حتى يعلم المكذبون بمقادير الله أن قد فارقتهم وتركت ما هم عليه.

الحلم والأناة:

ما ذكره القرطبي في تفسيره، عن إدريس بن يحيى قال:

كان الوليد بن عبد الملك يأمر جواسيس يتجسسون على الخلق، يأتونه بالأخبار قال: فجلس رجل منهم في حلقة رجاء بن حيوة، فسمع بعضهم يقع في الوليد، فرفع ذلك إليه فقال: يا رجاء! أذكر بالسوء في مجلسك ولم تغير!

فقال: ما كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له الوليد: قل: الله الذي لا إله إلا هو. قال: الله الذي لا إله إلا هو، فأمر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطاً فكان يلقي رجاءً فيقول: يا رجاء بك يستقى المطر، وسبعون سوطاً في ظهري! فيقول رجاء: سبعون سوطاً في ظهرك خير لك من أن يقتل رجل مسلم.

فهو هنا قد أخذ بحكم الرخصة على أن يدل على رجل أو مال رجل وهذا يدل على مدى علمه وفقهه.

ولما دخل في نفس هشام بن عبد الملك شيء من قتله غيلان وصالح، وكانا يتكلمان في القدر، فقال له رجاء: لقتلها أحب إلي من قتل ألفين من الروم؛ وذلك لأن ضررها على الأمة كبير، وذلك يدل على غزارة فقهه وعلمه.

الناصح الأمين:

لو لم يكن لرجاء بن حيوة موقف غير موقفه الذي أشار به على سليمان بن عبد الملك بولاية عمر بن عبد العزيز لكفاه، فقد كان صادقاً في نصيحته له. يروى أنه قال: لما ثقل سليمان بن عبد الملك رأني عمر في الدار أخرج وأدخل وأتردد فدعاني فقال لي: يا رجاء، أذكرك الله والإسلام أن تذكرني لأمر المؤمنين أو تشير بي عليه إن استشارك فوالله ما أقوى على هذا الأمر فأشددك الله إلا صرفت أمير المؤمنين عني، فانتهرته وقلت: إنك تحريص على الخلافة لتطمع أن أشير عليه بك فاستحيا ودخلت. فقال لي سليمان: يا رجاء من ترى لهذا الأمر وإلى من ترى أن أعهد؟

قلت: يا أمير المؤمنين، اتق الله! فإنك قادم على الله، وسألتك عن هذا الأمر، وما صنعت فيه؟ قال: فمن ترى؟ فقلت: عمر بن عبد العزيز. قال: كيف أصنع بعهد أمير المؤمنين عبد الملك إلى الوليد وإلي في ابني عاتكة أيهما بقي؟

قلت: تجعلهما من بعده.

قال: أصبت ووفقت، جئني بصحيفة، فأتيته بصحيفة فكتب عهد عمر ويزيد من بعده وختمها، ثم

اسمه ونسبه:

هو رجاء بن حيوة بن جندل بن الأحنف بن السمط بن امرئ القيس بن كندة. مولده:

ولد في مدينة بيسان الغور.

علمه وتربيته:

تعلم علي يدي أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً، وكان يقول: طفنا في نساء رسول الله (ص) فسألناهن: هل رأيتن رسول الله يصلي هاتين الركعتين قبل المغرب حين يؤذن المؤذن؟ فقلن: لا.

غير أم سلمة قالت: صلاًها عندي حين أذن بلال للمغرب. فقلت: يا نبي الله ما هذه الصلاة؟ هل حدث شيء؟ قال: «لا». ولكن كنت أصليهما ركعتين قبل العصر فتسبتهما، فصليتهما الآن.

وأخذ عن عدد من الصحابة، منهم: عبد الله بن عمر، وأبي أمامة الباهلي، وجابر بن عبد الله، وقبيصة بن ذؤيب وغيرهم من أصحاب رسول الله (ص).

رحلاته:

. فلسطين وسكنها، والكوفة، والأندلس. علاقته بأكابر القوم:

كان يصاحب الخلفاء لنصحهم، فلما مات عمر بن عبد العزيز أبى أن يصاحب أحداً من الخلفاء. ولما قدم يزيد بن عبد الملك بيت المقدس، سأل رجاء بن حيوة أن يصحبه فأبى واستعفاه، فقال له عقبة بن وساج: إن الله ينفع بمكانك.

فقال: إن أولئك الذين تريد قد ذهبوا. فقال له عقبة: إن هؤلاء القوم قل ما بعدهم رجل بعد مقاربة الإكبوه. قال: إني أرجو أن يكفيهم الذي أدعوهم له. منزلته:

كان أحد الأئمة التابعين، وضعه أصحاب السير في الطبقة الثانية من التابعين، وأورده صاحب تهذيب التقريب، ابن حجر العسقلاني. في الطبقة الثالثة.

ملاح شخصيته:

العالم الفقيه:

تعلم على يد ثلثة من الصحابة الأخيار، وأمهات المؤمنين، فبلغ من العلم مكانة كبيرة دفعت مكحول - أحد أئمة التابعين - عندما تعرض له مسألة يقول: سلوا شيخنا - يريد: رجاء بن حيوة. ومن مواقفه التي تدل على عمق فقهه وفهمه،

المعرفة في إصدار جديد

صدر العدد الجديد من مجلة المعرفة متضمناً ملاحظاً خاصاً عن الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري افتتحته الدكتورة لبانة مشوح وزيرة الثقافة بمقال عنوانه "المعري بين الأمس واليوم" بينت فيه أن المعري ثار على الظلم بكل أشكاله ورفض الجمود والتبعية. أما كلمة العدد للدكتور علي التميمي رئيس التحرير فحملت عنوان "القباني رائد المسرح الغنائي العربي"، وفي العدد بحث للدكتورة ملكة أبيض درست فيه مكانة لواء الإسكندرون في أعمال الشاعر سليمان العيسى كما تضمن العدد مجموعة من النصوص الإبداعية ومقالات أدبية ودراسات نقدية متنوعة، أما حوار العدد فهو مع الشاعر محمد عيسى.



الرائحة

• عزيز نصار

تعود من جديد أم تتواري كعصفورة حطت ذات يوم وطارَتْ إلى بلاد نائية مجهولة؟

أشْتَهَيْتُ أَنْ تَأْتِي دَائِماً وتَأْخُذُ ثوباً جديداً. أَشْتَهَيْتُ أَنْ تَعِيدَ ثوباً يمتص رائحة عرقها وعطرها.

وتعود العصفورة الجميلة وهي تحمل حفظة الثوب الزهري وتضعها أمامي، وابتساماً ترفرف على وجهها ويريق مدهش يشع من عينيها؛ ويزغرد صوتها:

”احتفظت بالثوب أياماً، وقد غيرت رأبي وأريد إرجاعه“.

أبتسم وأقول لها:

هذا من حقل.

تخرج البائعة من المحفظة الثوب الزهري وتفتحه فتعقب رائحته. تعيده إلى مكانه بعناية وهي تهز رأسها مستغربة؛ وأعيد لعبير ثمن الفستان قائلاً:

سأتي أثواب جميلة قبل مجيء العام الجديد.

قبل رأس السنة، تدخل عبير وتتجه إلى ركن بعيد تنتقي ثوباً شفافاً رقيقاً؛ وتنزلق أصابعها على خيوطه الناعمة. تطلب من البائعة أن تلمسه. تسأل عن السعر وتفتح محفظتها لتدفع الثمن.

أتنفس الرائحة الغامضة. هذه الأنثى زهرة فواحة تملأ الروح عبقاً وبهجة. تنازعني رغبة هائجة في أن أدعوها إلى المجيء دائماً لتنتقي ما تريد ولتترك رائحتها. أبادر إلى القول:

لا داعي لدفع الثمن الآن. تعالي بعد رأس السنة لتتأكدي من اختيارك.

مضت عبير ذات الشفتين الممتلئتين دون أن تدفع شيئاً؛ وتعود بعد أيام حاملة العلبه الأنيقة وتعيد الثوب الشفاف. تفتح البائعة العلبه فتعقب رائحة عنيقة. تنظر نحوي مستغربة فأشير إليها أن تصمت، ويخالجها الشك فهي تعرف الوصايا الصارمة المعلقة.

أقول لها:

أعطني هذا الثوب؛ لا داعي لعرضه.

أتذكر ”عبير“ وأخرج الثوب الشفاف الذي احتضن جسداً أتخيله يتوهج. ثوب يبوح بأسراره كل أنواع الأزهار التي أعرفها؛ أزهار الياسمين والنسرین والنرجس واللوز. لم تكن تهز مشاعري كما تفعل تلك الرائحة التي تبعث النشوة والجنون في النفس. وحين تمطر السماء وتغتسل الأشجار والشوارع، أشم رائحة الأرض والمرأة والحياة. وساعة تجتاحني مشاعر الكآبة والضيق، أحتضن الثوب فأحس أني موجود.

يسكت الرجل قليلاً ويلتفت نحوي متسائلاً:

هل رائحة الأنثى هي الجمال؟ هل هي الفرح والخيال؟ يتكرر انبعاث العبق كلما استولى عليّ سحر الأنثى.

يسكت فجأة. أنظر إليه فأجده نائماً وقد أسند رأسه إلى المقعد. أتابع قراءة الصحيفة ثم أقف لأضعها على الرف أسفل سقف الحافلة، ولأمد النظر إلى تلك المرأة الجالسة في الخلف بكل هدوء. أستريح في مقعدي وأنا أفكر بجاري: أهو يحب تلك المرأة حقاً؟ ألا يجمع الحب بين الروح والقلب والجسد؟ كم شممت أنواعاً من الروائح الرقيقة والهمجية! شممت روائح في ملابس مبلة بالعرق البشري وشممت روائح في الأغصان بالفضادق الرخيصة والراقية؛ وفي فراش من القش وبساط من العشب الأخضر. هذا أمر عادي، ولكن هل فتح الثوب المضمخ بعطر الأنثى لزميلي في السفر أبواب النعيم؟

تتوقف الحافلة في إحدى الاستراحات المنتشرة على طريق دمشق اللاذقية وأنا أفكر بكلماته. إنه لا يجد شيئاً نادراً رائعاً يفوق رائحة تلك المرأة، وربما يشمها في نومه. أقصد الاستراحة لأشرب كأساً من الشاي المنعش، وأعود إلى الحافلة التي تبدأ بالتحرك. أصرخ:

لم يعد زميلي في المقعد، أرجو انتظاره!

يجبيني معاون السائق وهو يتفقد المسافرين:

قد غادر الحافلة منذ قليل وركب سيارة تسوقها امرأة، وأخذ الاتجاه المعاكس.

لم أصادف ذلك الرجل في سفري المتواصل على طريق دمشق اللاذقية، ولكن حديثه لم يغب عن بالي.



هل يمكن لي أن أبدأ الثوب غداً إذا غيرت رأبي؟

لم أجبها. دب صمت وأنا أفكر بتقاليد المخزن. هل أبدو أمام هذه الفراشة أحمق متوحشاً؟ هل أبدو غليظاً أمام الحسنة ذات الشفتين الممتلئتين والرائحة العجيبة؟ أحطم الصمت وتخرج كلمات من فمي دون أن أعني ذلك:

المحل محلك. يمكنك التبدل والإرجاع كما تشائين!

تأخذ الثوب الزهري الثمين وهي تتراقص فرحاً وابتهاجاً، وتخرج إلى الطريق مختالة وأنا أراقبها وأستمع إلى وقع قدميها الصغيرتين وهما تخفقان على الأرض؛ وتظل عيناها تتابعانها حتى غابت بين الناس. لا شك أنها تقول لنفسها: ”إن في قلب الإنسان شيئاً غريباً يثير الدهشة والحيرة“. لا شك أنها تفكر كيف يتبدل الرجل القاسي اللفظ ويغدو رقيقاً مهذباً. هذا شيء خارج عن طبيعته. رائحة ”عبير“ تهب المكان شيئاً رائعاً خاصاً. رائحة تتسلل إلى كل ذرة من جسدي. أشم هذا العبق الفطري وأتذوقه. هذه المخلوقة الجميلة تقدم لي ما ينعش قلبي ويطنظ ظمئي.

أمسك الثوب الذي أرجعته. كل خيط منه يحمل تلك الرائحة العجيبة التي تذيب الحجر.

وعندما تغيب أياماً، يستولي عليّ الحزن والتعاسة وتفقد الثياب ألوانها. اعتدت كل شيء في المخزن وأصبحت هناك ألفة بليدة مع كل ما يحيط بي. الواجهات الزجاجية، الرفوف المملأ بالثياب، الأضواء الملمعة، التفكير بالبضاعة الجديدة وبالنساء اللواتي يشتريين ويثرثرن ويتقلب مزاجهن.

تشغل بالي حقيقة مختلفة مثيرة، وهي سر ”عبير“ التي تبدل الثياب وتترك عليها عطراً غير مألوف؛ فيصبح للخيوط والألوان روح.

وفي كل ساعة من ساعات النهار أفكر بها وأشم رائحتها المذهلة. إذا كان الفكر طريقاً إلى الحقيقة، وكانت الموسيقى طريقاً للمشاعر؛ فلماذا لا تكون الرائحة طريقاً إلى الروح؟

لا أعرف ماذا حصل لي! عندما غابت المرأة عني أياماً طويلة. هل

تفادرت حافلتنا حدود طرطوس وأنفاس الربيع تملأ كياني، وأنا أفكر بالرجل الذي تحدث عن رائحة سحرية تلاحقه. تمر رحلات كثيرة قبل أن ألتقي من أبادل معه الحديث في السفر بين دمشق واللاذقية.

كنت أستمع بالألحان المبهوثة التي تغمر الحافلة برعشات ناعمة. أسمع صوتاً:

”انظر إلى تلك المرأة! إنها تجعلني أشم ذلك الثوب وأستنشق رائحة الأنثى بنهم مجنون“.

هكذا قال لي الجالس إلى جوارني منذ لحظات. ألتفت إلى حيث يشير فأرى امرأة تتقدم نحونا وتتجاوزنا لتجلس في أحد المقاعد الخلفية. ألتزم الصمت وأنا أتأمل الرجل. يبدو رصيناً يغزو الشيب رأسه. تتحرك الحافلة وأغرق في صحيفتي.. يسألني الرجل فجأة:

ما نوع القصص التي تحبها؟

تلك التي تمزج بين الواقع والخيال.

حين تفرغ من القراءة، سأحدثك عن الرائحة السحرية.

أطوي الصحيفة.. ربما كانت ذكريات الرجل تنهمر كالطر المتواصل، ويحاول أن يتمسك بخيوط هاربة. يستأنف حديثه:

اسمها ”عبير“. لست أدري كم عيداً مضى وكم مناسبة سعيدة جاءت منذ انقطع عن زيارة متجري! هي بهجة مشعة تغيب أياماً لتعود أجمل وأبهى. ويشير مجيئها إلى أنها تريد ثوباً جديداً. كنت قد علقت أوراقي بخط أنيق تحظر إرجاع الثياب أو تبديلها. هذه العادة تزعجني، والنساء يجلبن المتاعب حين نحاول إرضاءهن؛ أليس كذلك؟

لا ينتظر إجابتي، ويتابع حديثه:

لمحتها مرة في الشارع تتهدى كفراشة ساحرة، وفقدت أثرها في الزحام؛ ولا تزال في ذاكرتي ورائحتها في رثتي.

يتأوه الرجل كأنه يكتشف الآن أنها فتاة عابثة تهزأ به، وأظن أنه قد انتهى من كلامه. أفتح الصحيفة، لكنه يرجو مني أن أدعها جانباً ليستأنف قصته:

عندما تريد امرأة تبديل ثوب، يثور غضبي وأرفض ذلك. ألم تكن لها عينان مبصرتان؟ هل أجبرها أحد على الشراء؟! عندما تبكي إحداهن لا يرف لي جفن ولا يشفق قلبي عليها، وأنا أغوص في مقعدي. أنت مرة أخرى ”عبير“ ذات الشفتين الممتلئتين والرائحة المتميزة. وقفت في مدخل المحل بقوامها الرشيق. نظرت إلى الواجهات وعبرت العتبة لتطوف مفتونة في أركان المكان. تأملت الألبسة المعلقة والثياب الشفافة المعروضة بإغراء وأناقة. تتسلل إلى أعماقي رائحة الغابات وأغرق في تصورات دافئة، والمرأة تبت حولي فضاءً غامضاً. تعيد ثوباً اشترته منذ أيام. يلفحني عطر الثوب وينشر حولي سحابة. ألتصق بالجسد الحار؛ وأرتشف نداءاته الوحشية. لا أدري، هل فتحت تلك الأنثى لي أبواب جهنم أم أبواب النعيم؟

تتنقل المرأة بين رفوف الثياب، تشير إلى ثوب زهري، فتسرع عاملة المخزن إلى مساعدتها على ارتدائه في غرفة خاصة. تخرج وتتأمل شكلها في المرأة فأقول لها:

إنه ثوب رائع يليق بك.

تدخل المرأة إلى غرفة تبديل الملابس وتعود حاملة الثوب الجديد لتسأل:

كم ثمنه؟

أنثى يتألق وجهها ويضيء المكان. أنثى تصيبيني بالدوار وتجعل المخزن مزهراً بالألوان والروائح والفرح.

ترددت في تحديد الثمن، بينما صوتها الرخيم يزقزق في فضاء المخزن:

بكم؟ .. بكم؟

لا أعرف ما الذي جعلني أقدم لها سعراً منخفضاً. تسرع البائعة لتضع الثوب الزاهي في محفظة أنيقة وتمد يدها نحو المرأة. وقبل أن تدفع، تتفحص اللوحات المعلقة التي تمنع إرجاع الثياب وتبديلها، تخفض رأسها وتتحرك يدها بطريقة تعكس أحاسيسها؛ وأسمع صوتها:

يا زمن الردة..!

• عدنان كنفاني



الأول..
كان أبي يُوصيني ويقول:
من بدء التاريخ وهذي الأرض..
هناك
تُحاكيها.. ونحاكيها!
ما غادرناها.. كنا نعشقها..
ما سورناها أبداً بالأسلاك
ويوم آتت من جنبات الكون وطاويط
الشهوة
ما كنا نعرف كيف نُقيم السور..
ما كنا ندرك أن جسوراً فوق فيافينا
الجرداء بنيناها
ستكون لهم أبواب عبور
فانهارت في لحظات الرعب الأزع
كل سدود الأبواق وغادرناها
نحمل في مرجلنا صبوة نصر مهزوم
ما زلنا نسكبها بين نهود العهر..
جدي ورثني مع أمي تلك الأرض
القدسية
وبين صفاء الروحين نرقت صموداً
يا مسيباً تحت هجير الصحراء
هل قذفتك خيانات السادة..
أم طوعاً سلمت مفاتيح الكعبة
والهبت التصفيق ضجيجاً؟!
أمطرت على خوذات الحرب الرز
ونزيف التمر المذبوح..
هل تسألني كيف..?
سأقول: لأنني من نسل الجد الأول..
كنعان..
حفرت هناك تراتيل مقامي
وحذفت الأخضر من قاموس
الكلمات
وصبغت الأعواد بلون العرق القاني
وسأبقى..!
وبقيت..

يا سلطان الوهم أغثني!
أمطرني وجعاً
ما عدت أطيع عبور الزمن الجاحد
في زمن الردة..!
بين سراب الضرامات المسبية..
مللت زمان الصمت
ملتني الخضرة بين سراب الأشياء
ومللت بقاءك تحكي عني
وتصادر.. حتى قلبي ولساني
هذا الزمن المهزوم! يُصارعني
بالقهر
ويأباني
أنت بين يدي القيد
وألقاني في رعب الأسئلة المزروعة
باليأس
ودمر حتى أبسط أحلامي؟
من غير زبانية الرمل الأصفر
وذئاب المائدة الخضراء
وقبيلة سفاحين تقاتلني!
وأنا أتحدث للمرأة
يسمع همسي من خلف الباب
جواسيس الحكام
يلقون القبض على قمصاني
يلقوني مع أحزاني في جب
لا أخرج منه غير حطام
كم جاهدت الأنواء تُصارعني
حتى في يوم جاؤوا من أقصى الأرض
وصبوا الملح على تربة حقلي
قالوا: لن يُنبِت عود أخضر فيه!
من قبلي، كان أبي يُوصيني
والجد الأول أوصاني
قالوا: أن تبقى جمجمة تنفتت عطراً
تحت شجيرات الزيتون
وتنبت جنب الجذع شقائق نعمان..!
خير من أن تتمشى مهزوماً..
فوق جماجم من زرعوا الزيتون

وصية عاشق

• فضيل حلمي عبد الله

وسألت عنها ربيع الذكريات
حبيبتي لا تريد
أن تعيش العمر ضيفة
ضعيفة مجروحة الفؤاد
بل تريد
أن تعيش
يومها في شباب
لم تنس أيام الأمل والعتاب
أذكر يوماً
حين جنتها
في يدي وردة ومساء
كان وجهها
يشرق منه الصباح
هتفت في أذني
أنت حبيبتي وأنت ضماد الجراح
أنت حبي الأول والأخير
وأنت لك كل شيء مباح
وإليك أنت ذكرياتي
في ذاك الجناح
لهيبك ناراً
أحرقت رقصات السحاب
التفت حولها وقلت
أكل هذا دخان وعذاب!؟....
حدثني حبك يا حبيبتي عن الصباح
وقال
إياك
أن تغيب عن هذا الكلام
وكنت كطفل يخدع بالمني حتى
ينام
فلا حب ولا عشق يجلو عن وجه الرخام
صدقيني يا حبيبتي حتى لو يوماً
أو مرة
فأنا ولدت في الخيام
وطعامي القسم
من الصباح حتى المساء
إلقي إلي حبك
فسلامي قبة العاشقين
تنشر أخباري في كل مكان
وفي كل زمان
فلا تبكي
ولا تضحكي
فأنت للحياة فجر في فجري
هذة هي قصتنا
فارجمي إلي كالبصر
قد كنت أرجوانة
أموت على رانحتها
أمل بك ذوى:
ما كان لي أمل سواه
فإذا
مررت من أمام قبوري
انفضي الغبار عن جسدي
عبر يدك
ومضيت تتلمسين الطريق إلى غدك
فاذكري وصيتي
فأنا ولدت في الخيام
وها أنا تحت التراب

أنا يا حبيبتي غدا سيطويني العمر
لم يبق من ظلي
سوى رمق من الحياة..
وحطام قلب عاشق
أنا يا حبيبتي مشهور بالقلق
جفت دموعي وأمالي حتى اختنقت..
فاذا نفضت غبار
اسمي من فمك
ومضيت تتلمسين
الطريق إلى غدك
فاذكري حبي
وحين ولدنا أبرياء..
سلبوك مني
مثل الكهولة حين تسلب الشباب
الحياة مأساة للناس مثلنا
وحكاياتنا حروفها
أسطورة الشقاء
حملتك على راحتي أفق نحو السماء
أنا يا حبيبتي ما نسيتك
ولا أدخلت بك الاعتداء
لكن لحبك ينبوع حنان
زرعتك بين ضلوعي مني
وجعلت منك
أحلامي الهاضبة..
وظممت عمري
ثم مت بلا شراب
كنت لي وكنت لك
وكان :-
لنا حب، ودف، ومكان..
ألقت به
أيرمي الزمان للمحن؟
وبذلت في إنقاذه أعلى ثمن
بيدي يا حبيبتي
دفنت حبي بلا كفن
إلا..
العمر
وما ألم بي الدهر
إن كنت يوماً قد سكبت الوهن
فلأنني حملت فقداهما معا
في قلبي جرحان
ثكلان
والشفاء لم يقترب
لماذا.. يا حبيبتي
لم يجثني النسيان كالزهر؟!.....
ولماذا لم - لا يكتمل في حقلي الدهر
واليوم جاءت الأحداث
تداهم ألي.. كي أنحني
هم يا حبيبتي أخرجوك من ثوبي
هنا حبك ما زال
مزرع بقربي
وقد تذوقت من ثمارك العذاب
حبيبتي تنن
إنني
سمعت أنين حبيبتي
إن بكيت، فإنه، يسقط الدمع؟
وان قتلت سقط الدماء
شممت شذى طيفها

قصة من الأدب الفرنسي: حامل الراية

• ترجمة: توليب ماهر

كانت فكرة تتناوبه.. فكرة واضحة المعالم... وهي أخذ الراية.. نقلها إلى قلب الكتيبة... والهجوم بها على البروسيين مع مَنْ يودّ للحاق به، حينما وصل إلى هناك... لم يُسمح له بالدخول... كما أن العقيد كان حانقاً، ولم يكن يريد رؤية أحد، وكذلك «هورني» لم يكن يصغي لأحد، فكان يقسم الأيمان ويصرخ... يدفع الحاجب: رايتي... رايتي...

وانفتحت نافذة: هذا أنت يا هورني

- أنا يا سيدي العقيد... أنا هو...

- إن كل الرايات في الثكنة... وما عليك إلا أن تذهب وتأخذ إيصالاً بذلك...

- إيصالاً.. وما أعمل به..

- هذا أمر الضريق

- لكن.. أيها العقيد

- هيا.. نفذ الأمر... ودعني بسلام.

وأغلقت النافذة.. فترنح «هورني» كرجل ثمل، وأخذ يردد بصوت مضطرب:

- إيصال... إيصال...

وعاود السير لا يفهم سوى شيء واحد، ذلك أن الراية هي في الثكنة، وعليه رؤيتها مهما كلفه ذلك من ثمن.

xxx

كانت أبواب الثكنة الواسعة مفتوحة لتمر عربات البروسيين التي كان مصطفة تنتظر في الساحة، وما أن اجتاز «هورني» الباب حتى شعر بقشعريرة.. لقد كان هناك حملة الرايات، خمسون ضابطاً واجمين، تكاد قلوبهم تتمزق، والعربات الداكنة اللون تحت المطر، وهؤلاء الرجال المجتمعون في الخلف حاسري الرؤوس... فكان الأمر هودفن بعض الموتى..

وفي إحدى الزوايا، كانت تتكسد كل رايات جيش «بازان» فيختلط بعضها ببعض على البلاط الموحل. وليس هناك ما هو أشد إثارة للحزن من هذه الرقاع الممزقة المصنوعة من الحرير اللامع. وبقيت حواشيتها المذهبة والسواري المزركشة، كل هذه مطروحة وقد تلوثت بالطين وماء المطر.

وكان أحد ضباط الإدارة يتناولها واحدة واحدة، وكان يتقدم حملة الرايات ليتسلموا إيصالاً عند ذكر اسم كتائبهم، وكان يراقب عملية التسليم والاستلام ضابطان بروسيان عديمي الإحساس.

أجل.. هكذا تذهبن أيتها الأسماك المجيدة، لتعرضي جراحك، وتمسحي البلاط الحزين بأجنحتك المهيضة.

أتصرفين مع العار الذي طغى الجمال... وكل راية منك تأخذ شيئاً من حزن شمس المسيرات الطويلة التي بقيت بين ثناياك التي تغير لونها، تحفظين في آثار الرصاص ذكري القتلى المجهولين الذين سقطوا مصادفة تحت الراية التي صوبت إليها النيران.

- «هورني»... إنهم ينادونك أنت.. اذهب واستلم إيصالك... صحيح أن الغاية هي استلام الإيصال..!!

كانت الراية هناك أمامه أكثر الرايات تمزقاً وأجملها... وعندما رآها ظننها لا تزال على السطح خفاقة في العلاء..

وكان يترامى إلى سمعه صوت الرصاص يلعلع... وصوت العقيد يردد:

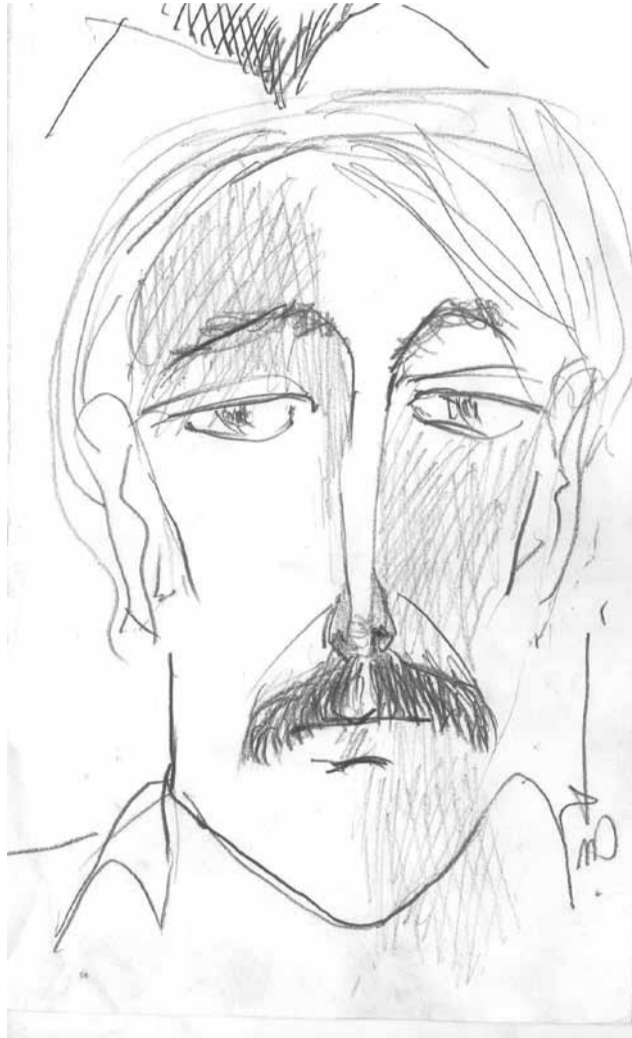
- إلى الراية يا أبنائي..

إنه الثالث والعشرون الذي يادر ليرفع ويسند الراية، التي كانت تترنح بين السواعد.. لقد أقسم في ذلك أن يحميها ويحفظها حتى الموت..

والآن... وما أن فكر حتى غلى دمه في قلبه، واندفع إلى رأسه.. فانتفض هائجاً... وبلا شعور منه... انقض على الضابط البروسي لينتزع منه رايته الحبيبة التي أطبق عليها بكتلتي يديه، ثم حاول رفعها عالياً.. وهو يصرخ: إلى الراية.....

وفجأة..

انقطع صوته في حنجرته... وأحس بالسارية ترتجف.. وتفلت من يديه... وسقط بلا حراك فيه..



الكائن في إحدى ضواحي مدينة «متز» وكان «هورني» الشجاع كأم بالنسبة إلى طفل لها عهدت به لمن ترضعه خارج البيت، فكان لا ينفك عن التفكير بها، وعندما يتحكم السأم، يهرع مسرعاً إلى المدينة ليراها في مكانها هادئة تماماً مقابل الحائط، حينئذ كان يعود وملؤه الصبر والشجاعة. مستعيداً تحت خيمته المبللة بأحلام المعركة والسير إلى الأمام مع رايته المثلثة الألوان الخفاقة، هناك على خنادق البروسيين إلا أن الأمر اليومي الذي أصدره «بازان» قد جعل الأحلام تنهار.

وذا صبح بعد أن استيقظ «هورني» رأى المعسكر كله في حركة لا تستشف أبعادها، والجنود زمراً وقد أخذهم الانفعال، يطلقون أصواتاً غضبية وقبضاتهم مرفوعة باتجاه واحد في المدينة. كأن ذلك الغضب يشير إلى شخص ارتكب خطأ، فيصرخون: لنعزله.. ليقتل بالرصاص، كان الضباط يتكلمون لهم حرية الكلام، بينما كانوا يمشون منفردين مطرقي الرؤوس وكانهم يخجلون من رجالهم، ولعمري كان ذلك مزرياً... لقد تلى أمر الضريق منذ لحظة على مئة وخمسين ألفاً من الجنود وهم بسلاحهم الكامل لا يزالون قادرين على القتال، أمر يسلمهم للأعداء دون قتال.

- والأعلام...؟؟ سأل «هورني» وقد علا وجهه لثون شاحب

- أعطيت الأعلام... والبنادق، وما بقي من أسلحة الجيش... كل شيء...

- بالكارثة السماء.. لا... سوف لن يأخذوا ما أملك..

قال ذلك.. وأسرع باتجاه المدينة.

xxx

هناك كان نشاط كبير، حرس قومي، بورجوازيون، عناصر الحرس المتحرك.. كانوا يصرخون هائجين، وكانت الوفود تمر صاخبة وهي في طريقها إلى «الفريق». أما «هورني» فلم يكن يرى شيئاً، ولا يسمع شيئاً، كان يخاطب نفسه وهو يصعد شارع الضاحية. - ينتزعون مني الراية.. أمممكن هذا...؟ أحق ما يُقال، ليعط البروسيين ما يملكه هو.. عرباته المذهبة.. الأواني المسطحة التي حملها معه من مكسيكو... أما الراية فهي لي.. هي شريفي لن يمسه أحد..

• للكاتب الفرنسي: ألفونس دوديه

كانت الكتيبة تحارب على سفح مائل من الأرض، حيث يمر الخط الحديدي، وكانت هدفاً للجيش البروسي المتمركز في الغابة، لذا كان الجيشان يتبادلان إطلاق النار، على بُعد ثمانين متراً، وكان الضباط يصيحون:

- انبطحوا أرضاً.

وما من أحد كان يصغي إليهم، وكان جنود الكتيبة مجتمعين حول الراية، وتوارت الشمس خلف الأفق، وغابت عن المراعي والحقول.

كانت سحابة من الدخان القاتم تلغع الجنود، وكأنهم قطع فاجأته عاصفة هوجاء في أرض منبسطة مكشوفة، يتساقط فوقها شظايا القنابل.. ولم يكن يُسمع سوى أزيز الرصاص، وقصف المدافع، والقذائف التي ترسل أصداؤها في ميدان المعركة، كأوتار آلة موسيقية مدوية تنبعث منها نغمة الموت.

كانت الراية ترفرف بين حين وآخر فوق رؤوس الجنود مرتعشة من الشظايا المتناثرة، فتغيب في غمامة الدخان الكثيف، بينما ترتفع أصوات مختلطة بين أنين الجرحى، وأزيز الرصاص، وهدير القنابل.. كما يرتفع صوت متميز:

- إلى الراية يا أبنائي.. إلى الراية...!!

واندفع أحد الضباط، ولم يكن يرى وسط الضباب، فعدت الراية ترفرف فوق أرض المعركة، لقد سقطت اثنتين وعشرين مرة..!!

وكانت تنتقل من يد إلى يد أخرى، وعند غيب الشمس، لم يبق في ساحة المعركة غير أفراد معدودين من جنود الكتيبة، تناضل وهي تتقهقر، ولم تعد الراية إلا قطعة قماش ممزقة في يد الرقيب «هورني» الرجل الثالث والعشرين ممن رفعوا الراية في ذلك اليوم.

xxx

كان الرقيب «هورني» مسناً أبله أعيد ثلاث مرات إلى الخدمة، ولا يعرف حتى كتابة اسمه، أمضى عشرين عاماً حتى ارتقى إلى رتبة رقيب، تقراً على جبهته الضيقة أمارات العناد، وعلى ظهره الذي أحنته جعبة ثقيلة، وعلى مشيته المضطربة في أثناء سيره.

كان يتلعثم في كلامه، فيثير الشفقة.. وفي المساء... قال له العقيد:

- أنت للراية أيها البطل... حافظ عليها.

وخاط له رجل المطعم شريطاً ذهبياً مخصصاً لصف الضباط على المعطف الذي كان يرتديه أثناء القتال، وقد تغير لونه من عوامل الطبيعة ووعناء المعركة، ذلك هو الضخار الوحيد في كل شريط، وسرعان ما انتصبت قامة الجندي المسن، هذا الإنسان البائس الذي تعود السير محني الظهر، مطرق الرأس غداً وجهه مشرقاً، وعيناه متعلقتين بتلك الرقعة الممزقة من القماش، ليحافظ عليها مرفوعة فوق الموت والخيانة والهزيمة.

لم نعد نرى من هو أشد سعادة من «هورني» أثناء المعركة، عندما يمسك بكتلتي يديه سارية الراية ويثبتها في قاعدتها الجلدية، فلا يتكلم ولا يتحرك، كان رصيناً كالكاهن الذي يحمل كتاباً مقدساً، فكانت عزيمته وحياته كلها تتعلق في أصابعه المتشنجة حول رقعة قماش ممزقة، كانت تتلقى طلقات الرصاص، وكانت عيناه يملؤهما التحدي تنظران إلى الجنود البروسيين وكأنهما ترددان: حاولوا انتزاعها مني إذا...

لم يحاول أحد ذلك حتى الموت نفسه، وكانت الراية تتمايل باعتزاز وفخر، بعد أن رفعها «هورني» المسن.

xxx

وجاء فصل الخريف والجيش على مشارف مدينة «مان» وفي أثناء الحصار أخذت تتساقط قوات الصف الأول بعد وقفة طويلة في الأحوال، حيث صدت المدافع ووهنت للجهود الذي ألم بها، ونقص في الغذاء.

كانت تتساقط من الحمى والملل بين بنادقها المتشابكة، وليس من رئيس أو جندي يأمل شيئاً، إلا «هورني» الذي ما فتئت الثقة تملأ نفسه، إن خرقته المثلثة الألوان تفسح المجال لكل شيء مادام يحس أنها موجودة قربه، كان يتصور أن شيئاً ما يفتقده.

وما أن توقفت الحرب، فقد احتفظ العقيد بالراية في منزله

الواقعية في رواية «المآب» لغسان كامل ونوس

• عبد اللطيف الأرنؤوط

تستقر على عجل، وهي تعبر عن إخفاقها بنزوات وثورات تستهدف أشقاءها، أما أقرب بنات المناضل أبي نضال إليه فهي «بتول» التي يوحي اسمها بنقائها، وهي أكثرهم حكمة وأناة، هؤلاء الأولاد هم رمز الجيل الجديد الذي أفرزته التجربة الحياتية، يختلفون عن جيل الآباء، وهم متنافرو القيم والمشارب والمواقف، لم يستطع الفكر أن يوحدهم أو يجمعهم في إطاره، فهم يمثلون جيل التردّي في الممارسات والإعداد في مستوى بناء الأسرة والتنظيمات العقائدية، وهمجية القيم والثقافة المستوردة بما تحمل من رفض للواقع وتأمير عليه، وفشل التربية في إعداد هذا الجيل الذي كان يمكن أن يتعلم في المدارس أكثر مما كانت تعلمه الأمهات الأميات لأولادهم من أبناء الجيل القديم.

وتمثل زوجة أبي نضال المرأة العربية المكافحة، التي ينسبها كدحها ما يترتب على زوجها من واجبات نحوها، مثلما ينسبها انغماسه في العمل النضالي واجباته نحوها، كما تمثل فتاة الزعتر ربيبة الحقل والطبيعة والتربية الوطنية رمزاً لنماذج جديدة من النساء المتحررات اللواتي طمحن إلى أكثر مما يتطلبه تحرير المرأة من تحرر، فتعثرت بهن السبل في ممارسات لا أخلاقية، ومغامرات يرفضها المجتمع.

يعتمد الكاتب ونوس في بناء روايته على قيمة لها جذورها في التراث العربي والإسلامي، فهي تذكر برسالة الغفران للمعري؛ إذ تقوم على استحضر روح بطلها أبي نضال بعد موته، واعتماد أسلوب الخطف خلفاً في إرجاعه للحياة مثلما فعل المعري بابن القارح في رسالته مستعرضاً مشاهد الجنة والنار، ومنتقداً أو مقوماً أو مراقباً، وهو يقدم في مشهد جنازة أبي نضال نقداً لاذعاً لسلوك الناس حيال المناضل الراحل، وقلّة اكتراثهم لوفاته بعد أن تخلّى عن مهماته القيادية، وكان قبل ذلك ملاء أسمعهم وأبصارهم، ثم يسترجع حياة المناضل على الأرض وما خبره وعاناه، وتصرفات المناضلين من أقرانه، وما وقعوا فيه من أخطاء مريضة دفعتها ظروفهم الحياتية أو سوء فهمهم للعمل النضالي، ما أدى إلى انحراف عن قيمه، وتجييره للمصالح الذاتية، والمكاسب المادية، وتفكك عرى قدرته على التغيير باستثناء بعض الإنجازات العمرانية والخدمات التي لا ترقى إلى مستوى إحداث تغيير جوهري في الأفراد أو التركيبات الاجتماعية، فكانت نتائجها وبالاً على التجربة النضالية وعلى المجتمع، وعجزت عن مواجهة المؤامرات التي تستهدفه من الخارج، وإن كانت كما يرى بطل الرواية أبو نضال أسهمت في استمرار مبادئه وتثبيتها في الأذهان لتظل شوكة تقلق المتآمرين، وتحثهم على احتسابها والخوف منها إذا أتاحت لهم فرص النجاح في موقفهم المعارض.

تظل رواية غسان كامل ونوس نافذة جريئة لطرح قضية الحرية وإشكالاتها في المجتمع السوري الواقعية تنويرية لا سابق لها، تفتح الطريق أمام حوارات بناءة، وتلك هي مهمة الأدب عند الذين يجلون بأقلامهم الظلام عن الحقائق المغيبة.



رواية «المآب»

لقد نشأت الديمقراطية الغربية في ظل تطور اجتماعي واقتصادي استمر أربعين عاماً؛ فالديمقراطية كما يرى الدكتور إسماعيل صبري «ليست قضية سهلة، ولا بد من وجود الفكر والممارسة داخل المجتمع لتصبح الديمقراطية نابعة من داخلنا، وليست مجرد محاكاة للغرب».

ولكي لا يكون المآب العودة إلى نقطة الصفر في نضالنا، فإن بطل الرواية بعد أن تبين له الهوة بين الواقع والتطبيق كما تظهر محاوراته التي احتلت الجزء الأوفى من الرواية أوصلته تجربة حياته النضالية إلى الاعتدال، والاكتفاء بالدفاع عن مبادئه وقيمه، وهو يشهد بأعينه الأخطاء والتجاوزات التي وقع بها المناضلون ثمرة عجزهم عن المواءمة بين المثل والمبادئ والواقع الحياتي المتردي للطبقات الكادحة يقول أبو نضال:

«الضعيف هو الذي يمارس العنف، هو الذي يضرب ويقتل ويمثل بالخبيث، لأنه لا يستطيع الإقناع بأرائه وأفكاره... وبالتالي يحاول فرضها بالقوة».

وإذا كان أبو نضال يمثل النموذج الثوري المعتدل، والبرغماتي المجرب فإن التيار المثالي في النضال الحربي يمثله الشاب «عماد» الذي ظل وفيّاً لمبادئه فلم يقبل التدجين ولا الرشوة ولكن مثاليته لم تنفعه على الصعيد الشخصي أو الحزبي، لم يحقق حلمه بالاقتران من «بتول»، ولم يكسب إلا احترام الأجيال التي تقدر نزاهته، لكنه احترام لا يحقق له لقمة العيش أو بناء حياة كريمة، أو التدرج والارتقاء في سلم المناصب.

ويتجلى التواصل بين الأجيال من خلال أبناء أبي نضال الذي منحهم المؤلف أسماء تلائم تطلعاتهم ورؤاهم، ثائر أحد أولاده يمثل اندفاع الشباب، ويوجه إصبع الاتهام لوالده المناضل لأنه وجيله لم يحققوا عبر نضالهم الطويل أي هدف كبير وهو على نقيض ولده الآخر والأكبر «نضال» الذي أصيب بالشلل منذ طفولته فقد كان كوالده، مؤمناً بالكفاح للتحرر من عاقته، مجدداً في دراسته، لم يحل شلله دون إيمانه بالنضال والتكيف مع الحياة، وتبني قيم والده في خدمة المجتمع، وتخطي العوائق والصعوبات. أما ابنته «ثورة» فهي رمز للجيل الجديد المتحرر من القيود، أقامت لها علاقة مع مدرس فاشل، ومهرب تخلّى عنها ولم



غسان كامل ونوس

نص تأملي إنساني وفكري عميق يلبس ثوب الرواية.

تقوم حبكة الرواية على انطلاق روح بطلها أبي نضال بعد موته ومرافقة جثمانه إلى قريته البعيدة، وهي تجسد انطباعاته وتأملاته عبر حياته وبعد وفاته حتى إتمام إجراءات دفنه، لم يكن البطل مهادناً عبر حياته، كان مناضلاً شرساً عن المبادئ والقيم التي يتبناها، لكن قسوة الحياة والكفاح الذي خاضه في سبيل لقمة العيش، والاضطهاد والتهميش اللذين عاناها من المجتمع جعلاه إنساناً واقعياً، ومناضلاً يرفض مثالية الأهداف الطموحة التي رسمها، وقد عانى مما عايشه من تخلي الكثيرين عن القيم التي يفترض أن يتحلى بها المناضل الثوري تحت وطأة الظروف القاسية، واختار لنفسه سلوكاً ذرائعياً يضمن لهم مستوى مقبولاً من العيش على حساب قيمه ومبادئه. ربما. لكنه بالمقابل نذر حياته لمساعدة الفئات المضطهدة التي جاءت من أجلها الثورة.

يقترّب البطل من رؤية الناقد الأدبي العالمي «ثودوروف» الذي يدعو إلى أن معالجة العنف في المجتمعات لأي سلطة، لا يكون إلا بتنظيم الفضاء العمومي الذي يراعي التنوع البشري، ولا يعني ذلك التراخي إزاءه؛ بل الدفاع عن الحضارة؛ أي قدرتنا على الاعتراف باختلافنا عن الآخرين من دون تحقيرهم بالضرورة، والإيمان بعدم وجود محور الشر في المجتمعات، يقول «ثودوروف»: «يتأتى الشر من أن كل إنسان يحتاج إلى الآخرين ولكن هؤلاء لا يعطونه طوعاً ما يرغب فيه، إن هذه المركزية الذاتية خطيرة، عندما تصبح جماعية بشكل خاص، فأفزع الجرائم ترتكب في سبيل حماية ذوبنا من خطر داهم بهذا المعنى فأظل أقاوم الشر عن طريق المعرفة».

من هذا المنطلق كان اعتدال أبي نضال وتخليه عن القيم المثالية والسعي لتحقيق إنسانية المسحوقين عن طريق حل مشكلاتهم ومساعدتهم مع قناعته بأن ظروفهم التي مرّوا بها قد تدفعهم إلى الانحراف، ذلك يعني أن هؤلاء الكادحين بما عانوه من جوع جسدي وتحجيم نفسي يتعذر عليهم إلا ما ندر أن يمارسوا نضالهم في سبيل مبادئهم وهم مهردون بلقمة عيشهم.

إذا كانت الرواية العربية المعاصرة ظلت تتسم بواقعية تقليدية تستمد أسسها من محاكاة الرواية الغربية في إطارها الواقعي القديم الذي أرسى دعائمه «إميل زولا» و«بلزاك» فإن الجيل الجديد من الروائيين العرب قد تحوّل عن هذه الأسس الحسية الواقعية إلى الاحتذاء بالنص الروائي الغربي الحديث الذي لا يفصل بين ما هو عقلي وعاطفي. فكل فكرة أو مفهوم يحمل في طياته بعداً عقلياً وعاطفياً لأن الإنسان بطبعه عقل وعاطفة، وكل كلمة تحمل في جوهرها ما تدركه الحواس وما يتجاوزها إلى المشاعر من خلال طبيعة اللغة المجازية والتخييلية.

وقد أدرك الروائي والقصاص والناقد غسان كامل ونوس هذه الحقيقة عبر تجربته الأدبية التي امتدت ما بين عامي (١٩٩١-٢٠١١) وأسفرت عن عشر مجموعات قصصية، ومجموعتين شعريتين وكتابات في أربع إصدارات، وأربع روايات كان آخرها «المآب» ٢٠١١ ما يشعر أن هذا المبدع استجاب لميوله الأدبية وارتهن لها بكل إخلاص، وكسر الحواجز بين الفنون الأدبية وأشكالها في الشعر والنثر المعاصرين، وألف بين اللغة الجمالية واللغة النضالية الوظيفية في رواياته، وبين الواقع والتخييل والحلم والحقيقة، وطاعت له لغة التعبير في السرد الروائي من غير أن يذهب بعيداً في تغريب اللغة أو إبهامها أو الخروج بها عن الوضوح والتجلية أو حرفها عن دلالاتها وأبنياتها المصطلح عليها.

في روايته «المآب» يكسر «نوس» حاجز الخوف الذي كبل الأدباء من تناول أخطر قضية سياسية يواجهها المجتمع العربي السوري في المرحلة الراهنة، فيتناول بشكل صريح وسافر التجربة السياسية لحكم الحزب الواحد في بلده سورية، وما يعزز مبدأ الإسلام والاتجاه نحو الديمقراطية وركنها الأساسي وهو الحرية في مجتمعه السوري، إن طرح الرواية لهذه الأفاق السياسية، ما يشعر بأفق الحرية الجديد الذي تتبناه الدولة للإصلاح السياسي والاجتماعي.

التأويل السياسي الذي تنطلق منه الرواية أنها نص روائي يمثل في جوهره مقاربة فلسفية لعلاقة الفرد بالمجتمع، وتطويعه لأفق إنساني أسمى، وصب طاقاته لجعله كائناً اجتماعياً، يتجاوز تناقضاته مع وسائل التنشئة الاجتماعية، ولا سبيل للخروج من بوتقة أعباء الواقع إلا بتمكين وعي الفرد لتجاوز ذاته والاعتدال في أهدافه مراعاة لإمكاناته وما يسمح به الواقع، فالواقعية في رواية «المآب» هي واقعية الأهداف التي تتطلع إليها الثورات لتلا تخفق أو تدور في حلقة مفرغة، ويوحي عنوان الرواية «المآب» بهذه الواقعية، فبعد أربعين عاماً من النضال الوطني والقومي، والطموح المثالي للتغيير، اصطدم مناصلوه على الدوام بصخرة الواقع، والعجز عن التغيير، حيث وجدوا أن سعيهم المثالي لم يحقق ما كانوا يأملونه، ومهما يكن من أمر فإن الرواية التي يوحي عنوانها بالنتائج والأخطاء المرتكبة في تجربة الحزب الثورية هي نص لغوي يتصل بالوسط الاجتماعي والسياسي يحتفظ بتقنية فنية صريحة ومتميزة من السرد؛ وهي بالمقابل

أدباء الأطفال .. كيف يتعاملون مع التراث ؟

• موفق أبو طوق

التي كان يرويها علي الطنطاوي هناك حض على خير، أو تشجيع على معروف، أو دعوة إلى الإحسان إلى الآخرين، أو تحذير من مغبة الأعمال التي تعد خارجة عن السلوك القويم، أو تبيان للنتائج الإيجابية التي يمكن أن يصل إليها الإنسان إذا سلك السبيل الصحيح (جابر عثرات الكرام، المجرم ومدير الشرطة، التاجر والقائد، التاجر الخراساني، قصة الأخوين، وزارة يعنقود عنب).. ومعظم هذه القصص تستمد أحداثها من العصور الأموية والعباسية، وأغلبها يدور في بلاط الخلفاء والأمراء، وهم الأكثر حظوة في مدونات التاريخ الذي يماشي فترتهم الذهبية.

أجل.. هذه نماذج متفرقة مما كتبه الرواد الأوائل، وهي تشير إلى التجارب التي ميزت كلاً منهم عن الآخر، والمدارس التي اقتنع كل منهم بوجود الالتزام بها.. وجميع هؤلاء الأدباء قد أصبحوا في ديار الحق، ولكن هل ذهبت بذهابهم عملية توظيف التراث في الأدب الموجه للأطفال والناشئة، وهل انطفت برحيلهم جذوة الإبداع التراثي الطفلي ؟ لا أبدأ، لقد استمرت المسيرة، ومضى الأدباء قدماً نحو الهدف التربوي المرسوم، وظهرت حكايات جديدة لأدباء جدد تروي سيرة أولئك الميامين الأوائل الذين فتحوا الدنيا، وبثوا القيم والأخلاق، ونشروا العدل والرخاء في جميع أنحاء المعمورة، فكانوا خير دعاة وخير فاتحين !.

أجل.. فالعديد من الأدباء متفوق على العناوين العريضة لهذا الطرح التربوي، نذكر من هؤلاء الأديب الأستاذ نزار نجار الذي يقول: (إن أطفالنا اليوم مطالبون في المستقبل بإنجاز ما لم يستطع أبائهم إنجازه، ولا يمكن الاستغناء عن التراث من أجل بناء شخصية الطفل العربي، إنها نقطة مهمة وحاسمة تقوم على إحداث الوعي التاريخي والتراثي في شخصية الطفل، وتسهم في تنمية الفضول المبدع لدى الأطفال ليطرحوا بعدئذ تساؤلات عن السابق واللاحق في مجالات الثقافة والحياة والمجتمع).

وبعد كامل كيلاني ومحمد سعيد العريان وعلي الطنطاوي وأمين دويدار ومحمود زهوان ومحمد أحمد برانق ومحمد عبد الحميد عنبر ومحمد فتحى عبد الوهاب وعبد الرحمن الباشا وبديع حقي وعبد الله الكبير ومحمد عطية الأبرشي ونجيب كيلاني وعلي باكثير.. وغيرهم وغيرهم، ظهرت أسماء أخرى يدور أصحابها في الفلك نفسه، ويعدون التراث معيناً ثراً ينهلون منه ما يرونه مناسباً للطفل وملائماً لتوجهاته وتطلعاته، ومن هؤلاء نذكر: الدكتور سمر روجي الفيصل الذي كتب سلسلة قصص الحكماء للأطفال، وكذلك: أسامة بن منقذ، وعباس بن فرانس، وأحمد بن ماجد، وعز الدين الجزائري (ضمن سلسلة كتاب أسامة الشهري)، وكذلك كتب سلسلة حكايات من الماضي والحاضر.. كما نذكر الأستاذ نزار نجار الذي كتب سلسلة البطولة للناشئين، والسيرة النبوية المصورة للأطفال، وفارس القلعة الصغير الذي يتحدث عن بطل قلعة شيزر، وسعيد العاص الذي لمع نجم من خلال مقارنته للفرنسيين والصهاينة على حد سواء.

ولم تتوان السيدة دلال حاتم عن ركوب هذه الموجة، فهي أدلت بدلوها أيضاً في مضمات التراث، واختارت مواضيع تتحدث عن عصور عربية سابقة، ولكنها صاغتها بأسلوب (السيناريو) المصور، ونشرتها على حلقات في مجلة أسامة التي كانت ترأس تحريرها، كما فعلت في قصتها المطولة (الراعي والأميرة) التي تدور أحداثها حول راع فقير كان مرشحاً للزواج من أمير البلاد، وكما فعلت أيضاً في قصتها (حكاية القمر الحزين) التي تتحدث عن ملك يحاول إسعاد ابنته الحزينة دائماً، وكما فعلت في حكاية (حصان الأبنوس) التي اختارتها من حكايات ألف ليلة وليلة.

وكذلك فعل (بيان الصفدي) في قصص مماثلة (السلطان العادل، علاء الدين والمصباح السحري)، وكذلك (سلام اليماني) في قصته (الشاعر الخائن).. أما (ياسر المالح) و (فايز فوق العادة) فقد توجهوا إلى إشهار عدد من عظماء العرب أو علمائهم من أمثال (عباس ابن فرانس) و (الخليفة المأمون) و (العالم البتاني) و (ابن سينا) وغيرهم.

وهناك نجوم كثيرة أخرى لمعت في سماء التراث المقدم للأطفال، وكل واحد من هؤلاء كانت له طريقته الخاصة في عرض المادة التاريخية القديمة، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: جمال علوش، وعارف الخطيب، وخيري الذهبي، وانطونيت القس.

والحديث.. يطول ويطول، وهو حديث ذو شجون وأشجان، على كل حال يبقى التراث هو اللينبوع المتدفق الذي لا تنقطع مياهه، ويبقى التاريخ هو المعلم الأول والمعلم الأخير لتلك الأجيال الصاعدة والواعدة، التي تبحث دوماً عن نبراس ينير لها الطريق ويرشدها إلى الهدف المنشود.

الاتصال بالتراث، وتمكن الجمهور من اعتماله المؤثر بالخطاب الموجه إليه، وهي مزية جاهزة يفتقر إليها الأدب المبتدع بعيداً عن التراث.. ولعل الرواد الأوائل الذين توغلو في أعماق هذا العمل المضي، وأسهموا في تلك التجارب المعقدة والمتشابكة، قد تركوا لنا آثاراً جديرة بالدراسة والاهتمام، آثاراً يجدر بنا أن نقف أمامها وقفة الباحث المتمحص، آثاراً يمكن أن نسير على هديها، أو ننفض غباراً ألقدها بعض رونقها وبهائها، أو نزيح شوائب شوشت أسلوبها وشوّهت مضمونها.. لعلنا نصل في النهاية إلى الأسلوب الأمثل والمضمون الأكمل والتوجه الأفضل، لعلنا نصل إلى قراءة جديدة لتراث قديم، ورؤية معاصرة لتاريخ قد أحتت ظهره العقود والقرون، فلا خير في أطفال لا يعرفون شيئاً عن تراث أمتهم، ولا خير في أطفال لا يميزون بين الغث والثمين في التاريخ الذي يقرأون !.

وضمن هذا المجال يقول الأديب الأستاذ محمد قرانيا: (إن من شأن التراث أن يبعد السموم عن الطفل العربي، ويمدّه بذخيرة عربية وروحية لا تنفذ، وتقدم إليه زاداً لا ينتهي، تمثل فيه جميع القيم المرجوة، إضافة إلى أنه مصدر غني من مصادر ثقافة الطفل العربي، لا تقل موضوعاته أهمية، إن لم تكن تتفوق على الموضوعات المعاصرة، بشخصياتها وأحداثها، فالشخصيات التراثية، شخصيات خارقة إلى حد ما، تتمثل فيها العصامية والمثالية، والنبل الإنساني، ويمكن أن تتفوق على الشخصيات المعاصرة التي يصوغها الحاسوب، وغيره من وسائل التقنية الحديثة، والتي تبدو على جانب من الجفاف والجفاء، والبعد عن الروح).

كامل كيلاني.. كتب للأطفال منذ بداية القرن الماضي، وقد خص التراث سلسلة قصص استقاها من ألف ليلة وليلة، واختار حكايات غرائبية تحمل الإمتاع والإدهاش، وتجذب القارئ الناشئ بعجيب أحداثها وطريف نواورها، اختار (مدينة النحاس) و (السندباد البحري) و (أباقيير وأباصير) وغيرها وغيرها، أعاد كتابتها بأسلوبه الخاص، وسرده المميز.. ولكنه مع الأسف الشديد، كرر مضمون القصة من دون أدنى محاولة لإسقاطها على الواقع الذي نعيش، وسعى إلى عرض وقائعها من دون أي تدخل شخصي أو تجديد عصري، حتى اللغة التي كتب بها كانت لغة عالية يصعب على الكثير من الأطفال تقبلها وتتبعها !. على كل حال، وعلى الرغم من السلبيات السابقة، علينا أن لا ننسى أن كامل كيلاني في قصصه المستخرجة من ألف ليلة وليلة، قد حول هذه القصص قصصاً مبسطة إلى حد ما، كما قام بتهديب مضمونها، وتشذيب وقائعها، وأخرجها على شكل كتيبات صغيرة مرفقة برسوم واضحة ومعبرة تجذب الأطفال إليها.

محمد سعيد العريان.. كانت له تجربة أخرى، تبدو مغايرة إلى حد ما لتجربة كامل الكيلاني القصصية، صحيح أن الاثنين قد توجهوا إلى قصص (ألف ليلة وليلة)، ولكن العريان مشى في طريق أخرى، لقد اقتبس من رحلات السندباد القديم، رحلات مماثلة لـ (سندباد) معاصر، عده حفيداً متأخراً من أحفاد سندباد الأول، ودفعه إلى القيام برحلات ممتعة تتوافق والزمن الجديد الذي كتبت فيه، ونشر أحداث هذه الرحلات على شكل حلقات متتالية في مجلته (سندباد) التي كانت تصدر في أواسط القرن الماضي، وسندباد هنا يعرف عن طريق عمته أن أباه التاجر، قد ذهب في رحلة طويلة، منذ أن كان جينياً في بطن أمه، ولم يعد منذ ذلك الحين، فعاش سندباد يتيماً من دون أن يعرف أباه الذي لم يحضر ولادته، ولم يترك أي أثر أو خبر يدل على مكان إقامته، ويقرر سندباد أن يرحل بحثاً عن ذلك الوالد المفقود، ويذهب سندباد في رحلة طويلة يقطع فيها الصحاري، ويتسلق الجبال، وينزل الوديان، ويلقي فيها من الأهوال والمكائد والمفاجآت الشيء الكثير، كل ذلك يكتبه العريان بأسلوب جذاب ولغة أنيقة تشد اهتمام الطفل وتدفعه إلى متابعة كل حلقة بشغف لا يعادله شغف. ولم ينس سعيد العريان أن يؤكد على الأخلاق الحميدة والقيم النبيلة في المواقف التي يتعرض لها سندباد، وفي أثناء لقائه مع الآخرين من أعداء وأصدقاء.

وننتقل الآن من مصر إلى سورية، وإلى رائد آخر من رواد أدب الأطفال في الوطن العربي، إنه الأديب الراحل علي الطنطاوي، الذي أصدر سلسلة قصصية خاصة بالأطفال أسماها: حكايات من التاريخ (دار الفكر بدمشق - عام ١٩٥٩).. وقد انتحى الأستاذ الطنطاوي منحى جديداً يختلف عن منحى سابقه، إذ لم يستق قصصه من حكايات ألف ليلة وليلة، بل استقاها من قصص تاريخية حقيقية ذكرها الأقدمون عبر أزمنة مختلفة وعصور متفاوتة، كان يأخذ الخبر التاريخي، أو الواقعة المروية، فيخرجها إخراجاً فنياً، وربما يزيد فيها قليلاً أو كثيراً، وربما كان أصلها سطوريا معدودة فجعلها صفحات، ولكنه لا يخرج في جوهر القصة عن الأصل في كل حال.. وفي كل قصة من هذه القصص

يخطئ من يظن أن التراث هو كل ما يمت إلى الماضي بصلة، ويخطئ من يتصور أن مفرزات الأمس بنوعها السلبي والإيجابي، تستحق التشبث أو الاحتضان، أو العض عليها بالنواجذ.

فالمتتبع لحوادث التاريخ، والمحص لفقراته.. يعلم حق العلم أن ظروفها قد أحاطت بهذه الأمة، دفعت أبناءها إلى ممارسات ذات آفاق معينة، نتجت عنها وقائع ومعطيات مختلفة، بعضها مقبول، وبعضها غير مقبول، وكلا النوعين المقبول وغير المقبول، دخل التاريخ من بابه العريض.

ولكن.. ليس كل ما يدخل التاريخ يحمل بطاقة توصية إلى قلوب الأطفال وعقولهم، وليس كل ما يدخل التاريخ يرفع راية المنطق ويمسك بلواء الحكمة.

الطفل يقرأ التاريخ فعلاً.. يقرأ جميع فقراته، ويتابع كل أخباره، ولكن عليه أن لا يقول عن كل ما جرى: إنه الصواب بعينه. فهناك الأبيض الناصع، وهناك الأسود الحالك.. هناك الطيب والخبيث، هناك السمو والسقوط، هناك الالتزام والتلون، هناك النظام والفضو، هناك الموقف الجماعي وهناك أيضاً التفرد الشخصي. أبدأ.. لا تستحق كل فقرات التاريخ أن يتمسك بها الطفل !!

ولعل الأديب الراحل الدكتور عبد الرزاق جعفر، له وجهة نظر خاصة في هذا الموضوع، فهو يقول: (نحن لا نزع أن قصص التراث صالحة للناشئة، ولكننا نشير إليها على أنها من تراثنا، وأنها يمكن أن تأخذ من هذا التراث ما نراه صالحاً لأبنائنا، فنتناوله بالغربة والتصفية، وتأخذ منه جوانبه الإيجابية فنكتبها بلغة حديثة وبروح حديثة، تجعل الأطفال يفهمون تاريخهم من جهة ويفخرون به من جهة أخرى، وتوجههم نحو تمجيد العمل الجماعي بدلاً من تمجيد العمل الفردي).

إذا.. أدباء الأطفال بحاجة إلى غريفة دقيقة لذلك القادم من الماضي.. قريباً كان أم بعيداً، هم بحاجة إلى فصل حقيقي بين الزيد، وما ينفع الناس.

ليس الهام أن يطالبوا الطفل بالحفاظ على التراث، بل الهام أن يبينوا له ما هو التراث الذي عليه أن يحافظ عليه.

ففي التاريخ أشياء يجب أن تبت، وإن لم تبت فعليها أن تبقى للعبرة فقط، وعندما يصل الطفل إلى الأصالة في كل شيء، يكون فعلاً قد وصل إلى التراث الحقيقي الذي يستحق أن يعرض عليه بالنواجذ.

من هنا تبدو المهمة التي يتصدى لها أدباء الأطفال.. صعبة ومعقدة.. إنهم مطالبون قبل غيرهم بالتحري، والتفتيش هنا وهناك.. إنهم مطالبون بتقليب الصفحات الصفراء، وإخراج ما هو صادق، وحقيقي، ومناسب لتفكير الطفل، وعقلية الطفل، ولغة الطفل.

ليست مهمتهم النقل فقط، بل مهمتهم التمهيد، والانتقاء، والغريفة، والتبسيط، إذ ليس كل ما يملأ المكتبات هو تراث حقيقي، وقد يكون مشوهاً، أو مزوراً، أو منحازاً، أو منحرفاً..

وأدباء الأطفال الحقيقيون، هم الذين ينتقون الأدب الحقيقي، والتراث الحقيقي.

ويعبر الأديب الدكتور سمر روجي الفيصل عن هذه الفكرة بقوله: (إن تقديم التاريخ للطفل شيء مهم وعسير في الوقت نفسه، وإن التعبير عن التاريخ من خلال شخصياته أمر أكثر أهمية وعسراً، وفي يقيني أن استدعاء الشخصيات التاريخية المهمة يسد فراغاً في مكتبة الطفل العربي، ويسهم في بعث التراث العربي وتربية الطفل على الاتصال به خدمة للحاضر وتهيئة للمستقبل، وما من شك في أن كتابة السيرة القصصية فن يحتاج إلى موهبة قصصية، وقدرة على التتبع التاريخي وعلى فهم الطفل المتلقي).

ونؤكد مرة ثانية وثالثة ورابعة.. أن المسؤولية الملقاة على عاتق أدباء الأطفال مسؤولية جسيمة، والمهمة التي يضطلعون بها في إطار التوجه للطفل العربي على جانب كبير من الأهمية، أما توظيفهم للتراث وانتقاؤه ميداناً رحباً يجول ويصوّل إبداعهم في ساحته، فعمل يحتاج إلى اطلاع واسع ومراجعة متأنية وانتقاء دقيق.. ولقد قام أدباء الأطفال في الماضي البعيد والحاضر القريب بمحاولات عديدة في هذا المجال، عكفوا على كتب التراث يشبعونها بحثاً وتنقيباً، وعمدوا إلى صفحاتهم البيضاء يسودونها بحبر القصة والقصيدة والمقالة، وكلها مستلهمة من حكايات وروايات جرت على ألسنة الآباء والأجداد، تناقلها الرواة، وتلقفتها الأجيال المتعاقبة، جيلاً إثر جيل.

وربما أصاب الأديب الدكتور عبد الله أبو هيف عين الحقيقة حين قال: (التراث أقدر على المخاطبة من مصادر مبتدعة تحتاج إلى هامش مضاعف من التربية أو التنقيف، لكي يكون بمقدور المتلقي، ولاسيما الطفل، أن يتفاعل معها، إن الثقافة الوطنية أو الشعبية تيسر سبل

الطعم والصنارة /تتمة/

وكانت شمس بداية الصيف تغري بالسباحة، وكان الجبل المطل على البحر، مطمئناً بسنديانة وزيتونة وريحانة، عندما صبغ الدم وجه البحر، رأته الحاجة عائشة بعينها كيف تكاثر شبان على رجل يبيع الرزق الحلال لأبناء مدنها، رأته كيف ذبحوه وأقفا، وشرعوا يمتلئون بجنته، دون سبب. حدث الذي توقعته الحاجة عائشة، وبعد ثلاثة أيام من حرب شرسة، كادت أن تودي بالجميع، استطاعت وحدة من الجيش إحكام الطوق على المنطقة الساخنة، حيث بيئتها، وحديقتها، ومزرعتها. بعد إعادة السيطرة من قبل وحدة الجيش، تم تعزيز إحكام الطوق، وبدأ التفطيش عن الإرهابيين، وعن السلاح، وأتت الأوامر: يمنع منعاً باتاً، إطلاق النار على أي إنسان، كبيراً أو صغيراً، إياكم ثم إياكم، هؤلاء أهلنا، يجب ملاحقة الغرياء، يتم توزيع الخبز بالإضافة إلى السلال الغذائية بالتساوي.

لكن مع ذلك، كل يوم تخسر الكتيبة عنصرًا. فجأة يصاب بطلق ناري.

ومن موقع قريب. لكن أحداً لم يشك ببيت المربية الكبيرة عائشة. قال النقيب إبراهيم: ثمة قناص ماهر، من قناصة كاتمة للصوت. وعلى الرغم من كل الاحتياطات، والسهر، وتمشيط المنطقة، ولم يعثروا على أثر لقناص.

•••

في الصباح الخامس، تقدمت الحاجة عائشة، رفعت مندبلاً أبيض، حاملة إبريق الشاي، مع الكؤوس، وضعت أمام الجنود، واتجهت إلى البيت البلاستيكي، حاملة الطعام للعمال فيه.

لكن الأوامر كانت عدم شرب الشاي، فربما سكب السم فيه، أهملوا الإبريق، ووضعوه جانبا.

عادت الحاجة عائشة، حملت في عيونهم واحداً واحداً، نظرت إلى الإبريق نظرة ذات مغزى، لكنهم اكتفوا بالشكر، فحملته وعادت، وتكرر القنص، وخسرت

الكتيبة شهداء آخرين.

وجاءت الحاجة في اليوم التالي، تحمل إبريق الشاي من جديد، وضعت بينهم من غير كلام. واتجهت إلى البيت البلاستيكي تحمل طعاماً كعادتها كل يوم. تركت المندبيل الأبيض على بوابته، وعادت.

عرفت أن الإبريق لم يمس. وكررت الحاجة محاولتها، وضعت إبريق الشاي من جديد، دون كلام، فقال لها النقيب: يا خالة نشكرك جداً، عرفنا من أنت، ونحن مطمئنون لجيرتكم. عندنا ما يكفيننا من كل شيء. ولسنا بحاجة للشاي.

وإذا احتجنا شيئاً نحن نطلب منك. هزت الحاجة رأسها، وعندما نهض النقيب كي يناولها الإبريق شاكرًا، فوجئ بأن الإبريق فارغ، رفع غطاءه، فوجد وريقة صغيرة كتب عليها بخط جميل: "المسلحون والقناصة في بيتي. ويخرجون من البيت البلاستيكي، حيث المندبيل الأبيض".

د. اسماعيل مروة: دورياتنا خضعت لمعايير ذاتية وأيديولوجية /تتمة/

حديث أجري معه، وأشرف أنه نشر في صحيفة الوطن السورية، ولا يمكن أن ينشر في أي صحيفة عربية بهذه الأمانة والإخلاص لأفكاره..

تنتعني بالمحب لأدونيس وهذا أمر أفرح به، لكنني كقارئ أخالف أدونيس في كثير من الأمور.

قال لي: أجمل ما في حوارنا أنك تخالفني الكثير من الآراء، والحقيقة أن علاقتي الإنسانية بهذا العلم مصدر فخر لي، وتوطدت عندما رأيت منه الاحترام، فلم يطلع على الحوار، ولم يعترض على سؤال أو كلمة، وكل الحديث اطلع عليه بعد نشره، قال لي بعد حديث استمر ثماني ساعات متواصلة حتى مطلع الفجر في جيلة:

أنت تحاورني وقد قرأتني، أنا أفق بك ولا أريد أن

أطلع على شيء، عرفت يومئذ أن شخصاً مثل أدونيس لا يطلع على حوار إلا إذا خاف عدم المعرفة، ومنذ ذلك اليوم أتواصل مع أدونيس في أي مكان كان.

من خلال قراءاتي وحواري وحيي لأدونيس ووقفاتي النقدية أقول: أدونيس شاعر لا يشق له غبار، أدرك كنه الشعر والشعور ولا يعيبه أن يحتاج شعره منا إلى مزيد من القراءة والثقافة.

وكذلك إن أدونيس مفكر عالمي مهم له رؤاه وإن لم تتفق معه، خاصة تلك التي تتعلق بقراءة التراث وأثره في الناس. وأدونيس مترجم بارع قدم أهم الأعمال مثل أوفيد (التحويلات) وأعطاهما اهتماماً يفوق الاهتمام كما لو أنه يصنع كتاباً خاصاً به. إنه موسوعة أدبية وثقافية

نادرة لم نحسن استغلالها.

بطاقة الكاتب

ولد في معربا بريف دمشق، وحصل على إجازة اللغة العربية، ودبلوم في اللغة من جامعة دمشق، وماجستير علوم اللغة العربية «النحو» من الجامعة اللبنانية. ثم شهادة دكتوراه في الأب من جامعة جوميلوف الحكومية في كازاخستان عام ٢٠١٠ م.

وظائفه

عمل في تدريس العربية لغير المتخصصين، كما عمل في مركز الدراسات والبحوث العلمية (وحدة اللغة العربية)، ثم في جامعة الإمارات العربية المتحدة، وعاد

إلى بلده فاشتغل في الصحافة لدى عدد من الدوريات وفي وسائل الإعلام

من إصداراته

له في القصة «مدينة النوافذ المعشقة»، «توقيعات على مقام شام»، «قهوة بلا سكر»، «عزف منضرد»، «وشوم»، «تدايعيات في مقهى الشرق»، «وكان حلمًا»، الأركان تعلن انقلابها. كتب في الدراسات: «الأرض والإنسان»، «البيجرمي: موقف رسالي»، «في المخطوطات العربية»، «سعاد الصباح»، «وحق شرح قواعد الإعراب»، وألف «معجم الأخطاء الشائعة»، «كما عرفتم» في الذاتية.

مراكز البحث العلمي وأهميتها في حياتنا الثقافية /تتمة/

ليس بسبب عجزها عن أداء هذا الدور؛ بل بسبب المعوقات الكثيرة التي تحيط بها، وعدم تكليفها بهذه المهام بحكم طبيعة الحياة السياسية العربية وطبيعة أنظمتها وبعدها عن العمل المؤسسي المعمول به في الولايات المتحدة والغرب.

في الوطن العربي يمكن إيجاز الوظائف التي ينبغي لمراكز الأبحاث والمؤسسات الثقافية والعلمية في بلداننا النهوض بها، وهي:

١ - البحث العلمي في المجالات كافة، وتوليد الأفكار، واكتشاف الحقائق والسعي لتحقيقها.

٢ - تقديم الخطط والاستراتيجيات المبنية على أسس علمية لأصحاب الشأن؛ من أجل اتخاذ القرارات على أسس متينة مدروسة ومعدة سلفاً، تبعاً للحقائق العلمية، والمعطيات الواقعية.

٣ - العمل على اكتشاف الخبرات العلمية من العلماء والباحثين، وصقل مواهبهم، وتبيين أفكارهم، وطرحها للدراسة بمساعدة الجامعات البحثية في مراكز الأبحاث؛ لاستثمار هذه الطاقات والإفادة منها كل بحسب اختصاصه.

ويمكن إيراد بعض الرؤى والتصورات والتوصيات التي يمكن أن تنهض بدور المراكز البحثية والمؤسسات العلمية في مجتمعاتنا، وفق التالي:

أولاً: وضع برامج استراتيجية لعمل المراكز البحثية والمؤسسات العلمية؛ على أن تكون هذه الاستراتيجيات طويلة الأمد، مستشرفة لأفق واسع في مجال تخصص دقيق وفق رؤى وأنساق علمية مبرمجة وممنهجة.

ثانياً: التخصص والموضوعية، ويقصد بها تركيز

العمل وتوجيهه في هذه المراكز والمؤسسات، بحيث تكون متخصصة وليست عامة، مما يكسبها وبمرور الزمن رصانة وقوة ومثانة في حقل اختصاصها، وستكون مرجعاً في ميدانها، ومنافسة لنظيراتها.

ثالثاً: الواقعية في الطرح، والتعامل وفق الإمكانيات المتاحة، مع طموح كبير؛ كل ذلك يؤدي لعلو الهمة في العمل، وتركيز الجهد، وترشيد الإمكانيات العلمية والمادية.

رابعاً: المراجعة والمحاسبة الدورية، وتقويم العمل والنتائج العلمي دورياً وفق أسس التقييم وقياس الأداء، فالعمل يجب أن يتطور من مرحلة لأخرى ويمرور الوقت، فيحتاج إلى مراجعة للوقوف على الإشكالات والمعوقات وتجاوزها، وتحسين الأداء وتطويره حتى لو تطلب الأمر إعادة الهيكلة أو إجراء إضافات نوعية ما دام ذلك في مصلحة العمل.

خامساً: تخصيص ميزانية مالية تكون خاصة بالإفناق على مراكز الأبحاث والمؤسسات الثقافية والعلمية؛ لغرض تشجيعها وتطويرها، ومتابعة مدى الإفادة من هذا الدعم المالي، على أن يتابع الأمر من جهة علمية وإدارية متخصصة؛ لترشيد العمل.

سادساً: إنشاء مؤسسة جامعة لمراكز الأبحاث والمؤسسات الثقافية والعلمية، كأن تكون جمعية البحوث والدراسات والأنشطة العلمية، مهمتها العمل على تنسيق جهود مراكز الأبحاث والمؤسسات العلمية، ودفعها نحو التكامل في العمل، وتوطيد العلاقات، وتغطية الاحتياجات المجتمعية عبر توجيه هذه المراكز والمؤسسات توجيهاً صحيحاً ومنسقاً كل في اختصاصه.

تفعيل دور مراكز الأبحاث

يتضح أن مراكز الأبحاث والدراسات تكتسب أهميتها وضرورة وجودها من الحاجة إليها، ومن مقتضيات الضرورات السياسية والاقتصادية والإعلامية والأكاديمية والاجتماعية والتنموية؛ وذلك باعتبارها الطريقة الأمثل لإيصال المعرفة المتخصصة، بما تقدمه من إصدارات علمية وندوات متخصصة، من شأنها أن تضاعف مستوى الوعي لدى صانع القرار والمؤسسات والأفراد، وتساعد على الربط بين الوقائع الميدانية وإطارها العلمي النظري.

لكن كيف يمكن تفعيل دور مراكز الأبحاث في الواقع الراهن وشروط الانتقال إلى فاعلية أكبر؟ لا شك أن مراكز الأبحاث دوراً ريادياً في توجيه عالم اليوم؛ بحكم أنها أداة مهمة لإنتاج العديد من المشاريع الحيوية التي تتصل بالدولة والمجتمع والفرد، ووسيلة لدراسة كل ما يتصل بتلك المشروعات وفق منهج علمي معرّف. كما تعدّ مراكز الأبحاث من القضايا الوطنية الهامة والحيوية، التي تعكس اهتمام الشعوب بالعلم والمعرفة والتقدم الحضاري واستشراف المستقبل؛ مما يفرض على الدول العربية تفكيراً معمقاً في خصوصيات هذا المشهد وعولته وأفاقه وتحدياته الجسيمة، وفي طرق امتلاك مفاتيح المعرفة والتقدم والحضارة التي لن يتسنى الحصول عليها من غير بحث علمي جاد ومهني، تكون أدواته مراكز الأبحاث والدراسات.

وضرورة العناية بمراكز الأبحاث وإعدادها وفق الحاجات والطموحات التي تلبى الأهداف المرسومة من وراء ذلك، وإعطاء كل الإمكانيات التي تلبى تلك الحاجات.

نعي

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأعضاء الاتحاد ينعون بمزيد من الأسى واللوعة عضو اتحاد الكتاب العرب الزميل

محفوظ أيوب

ويتقدمون بأحر التعازي من أسرته وزملائه وأصدقائه. راجين الله عز وجل أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

• ولد الفقيد في محردة عام ١٩٣٤

عمل مدرساً للفلسفة وعلم النفس في دور المعلمين والمعلمات في حمص وحماه ومديراً لبعض المدارس الثانوية والإعدادية في شتى أنحاء سورية عضو جمعية القصة والرواية

من مؤلفاته:

زهرة في قبر. رواية، دمشق، دار الأجيال، ١٩٦٩ . بابل الخاطئة. رواية حوارية، دمشق، دار

الأجيال، ١٩٧٠

محاورات المساء. قصص حوارية، دمشق، دار الأجيال، ١٩٧١

نبي نينوى. رواية حوارية، دمشق، دار الأجيال، ١٩٧٢

وأخر أعماله المطبوعة الحكمة الأخوية الحية فكر، ٢٠١٠

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة: سبعمئة كلمة. - غير منشورة ورقياً أو عبر الشبكة. - منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم. - لا تتجاوز المادة المرسله /700/ . لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

الآراء والأفكار التي تنشرها

الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu.sy

E-mail : aru@tarassul.sy

الاشتراك السنوي - داخل القطر أعضاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفراد 1000 ل س - وزارات ومؤسسات 1217 ل س - في الوطن العربي للأفراد 300 ل س أو 30 \$ - للوزارات والمؤسسات 4000 ل س أو 400 \$ - خارج الوطن العربي للأفراد 6000 ل س أو 120 \$ - للمؤسسات 7000 ل س أو 1400 \$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب - دمشق ويبرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

المراسلات:

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ص ب (3230) - هاتف 6117241-6117240 - فاكس 6117244 - جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15 ل س - في الوطن العربي: 0,5 \$ خارج الوطن العربي 1 \$ أو ما يعادله. تصاف أجور البريد للمشاركين خارج سورية

نعي الشاعر الكبير سليمان العيسى



ينعى اتحاد الكتاب العرب بمزيد من الأتم والحسرة واحداً من عباقرة الإبداع الذين عمّدوا تاريخه وأسسوا لوجوده، المبدع الشاعر سليمان العيسى الذي فقدته الأسرة الأدبية والثقافية صباح اليوم الجمعة ٢/ شوال ١٤٣٤ الموافق ٩ آب ٢٠١٣ عن عمر ناهز ثلاثة وتسعين عاماً، وكان ولد في قرية النعيرية قرب مدينة انطاكية عام ١٩٢١ وتعلم في مدارسها، وتشرب فيها مبادئ النضال الوطني والقومي، ثم غادر لواء الإسكندرون بعد سلخه، ليوصل دراسته في مدارس حماة واللاذقية ودمشق، وليتخرج من بعد. في دار المعلمين العالية في بغداد. ثم قام بتدريس الأدب العربي في حلب منذ العام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٧، في الوقت الذي كان يتابع نشاطه الإبداعي والنضالي، وهو الذي أتقن اللغة الفرنسية والإنكليزية وألم بالتركية، وجاب بلداناً أجنبية ومعظم أقطار الوطن العربي...

ولعل أبرز تحول لديه كان بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ إذ توجه بشعره إلى أطفال الوطن العربي وكأنه بحملهم مسؤولية المستقبل بعد أن أمضه جرح النكسة..

وما يزيد اتحاد الكتاب العرب ألماً أن هذا اليوم، هو اليوم الذي رحل فيه الشاعر العربي الكبير محمود درويش، وكان شاعرنا العظيم سليمان العيسى، كان على موعد مع مبدع من مبدعي الشعر العربي المعاصر. وإذا كان المصاب في فقد سليمان العيسى جلاً في نفوس المثقفين والمبدعين العرب والكتاب والأحباء، فإن عزاءهم فيما تركه وراءه من آثار خالدة لا تبلى جديتها، مادام الدهر قائماً، ومنها الأعمال الشعرية في أربعة أجزاء، الثمالات في أربعة أجزاء، الديوان الضاحك في جزأين، رحلة كضاح، مدن وأسفار، وأخيراً النعيرية قريتي... وله مجموعات شعرية مستقلة وأوراق ثقافية متناثرة منها كتابها (أنا والعروبة، وأنا والطبيعة) الصادران عن وزارة الثقافة..

وقد بلغت مجموعاته الشعرية الموجهة للأطفال أربع عشرة مجموعة، من أواخرها (أراجيح للأطفال، وحدائق الكلمات).

ولم يهمل هذا المبدع العظيم كتابة القصة، ولا القصص المترجمة، في الوقت الذي ترجم له الكثير من إبداعاته إلى اللغات الحية ومنها (الإنكليزية، الفرنسية، الروسية) وبذلك لقي عناية الباحثين والدارسين، وانتظمت الدراسات الأكاديمية حوله..

إن العزاء العظيم لاتحاد الكتاب العرب؛ هو في هذا الإرث الخالد الذي تركه زادا لنا، ولا يسعنا إلا أن نقول: «جزاك الله عن أمك كل خير، وأسكنك فسيح جناته، وألهمنا وذويك الصبر والسلوان».

دمشق في ٩/٨/٢٠١٣
د. حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

شكر على تعزية

تلقى اتحاد الكتاب العرب عدداً من برقيات التعزية بالفقيد الشاعر الكبير سليمان العيسى من الشخصيات الاعتبارية والمؤسسات الثقافية والأدبية.

وإذ نشكر لهم هذه اللفتة الكريمة ونخص بالشكر السيد الأستاذ فاروق الشرع نائب رئيس الجمهورية والسفير اليمني في دمشق والأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب الأستاذ محمد سلماوي.

راجين المولى ألا يجمعهم بعزير

ملف عن الأديب الراحل سليمان العيسى

تعلن صحيفة الأسبوع الأدبي عن تخصيص ملف عن الأديب الراحل سليمان العيسى في عدد قادم، راجية من الكتاب والمبدعين تزويدها بمواد عن حياة الراحل وإبداعاته ومسيرته الثقافية الغنية بالسرعة الممكنة. صحيفة الأسبوع الأدبي

أخبار

إعادة كتابين مسروقين إلى المكتبة الوطنية السويدية



قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة كتابين نادرين تعود ملكيتهما للأسرة المالكة السويدية كان قد سرقهما مدير قسم المخطوطات في المكتبة الوطنية السويدية، وهما كتاب (وصف

لويزيان) للمستكشف الفرنسي (لويس هنين) وقد كُتب عام ١٦٨٣، وكتاب (صور لنهر الميسيسيبي) للفنان الأمريكي (هنري لوفيس) المطبوع عام ١٨٥٨. هذا وقد فقدت المكتبة ٥٦ كتاباً من كتبها النادرة خلال الفترة ما بين ١٩٩٥ و٢٠٠٤.

مرّ الكتابات برحلة طويلة قبل عودتهما إلى حضان المكتبة الأم، فقد تم بيعهما بداية في مزاد تابع لصالة (كيتتر كونست) الألمانية، ليباعا كتبت قديمة في الميريلاند بأمريكا حيث قرر البائع إعادتهما إلى السويد بعد إبلاغه المخابرات الفيدرالية الأمريكية بالأمر.

لا تتمكن أي جهة من معاينة السارق الأصلي (أندرس بوريوس) مدير قسم المخطوطات، وذلك لأنه انتحر في ستوكهولم عام ٢٠٠٤.

"باموك" يواجه "أردوغان"



وجه الكاتب التركي "أورهان باموك" الحائز على جائزة نوبل في الأدب نداءً إلى رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، يدعو فيه إلى التوقف الفوري عن خطاب العنف ومهاجمة المتظاهرين وقمع الفنانين وترسيخ الانقسام والشقاق في البلاد.

هذا وقد تضامن عدد من الفنانين والمثقفين الأتراك مع دعوة "أورهان باموك" بحسب ما أوردته صحيفة (حريت) التركية مؤكداً أن سلوك أردوغان الهامجي ووصفه للمتظاهرين بالرعايع يوجب الانقسام داخل المجتمع التركي مطالبين الحكومة بوضع حد لهذه الممارسات المشينة.

ويعتبر "أورهان باموك" ظاهرة ثقافية تركية حفرت اسمها بعمق في واقع البلاد الثقافي بعد نيله لأرفع جائزة أدبية في العالم عام ٢٠٠٦، ولد عام ١٩٥٢ في اسطنبول، مارس الرسم والقراءة في مطلع صباه وشبابه، ثم درس الهندسة فالصحافة في اسطنبول قبل أن يدرس الأدب والفرن في الولايات المتحدة.

ترجمت أعماله إلى مختلف اللغات ومن أهم رواياته: جودت بيك وأبناؤه-١٩٨٢، المنزل الهادي-١٩٩١، القلعة البيضاء-١٩٩٥، الكتاب الأسود-١٩٩٧، الحياة الجديدة-٢٠٠١، اسمي أحمر-٢٠٠٣، تلج-٢٠٠٤، متحف البراءة-٢٠٠٨.

صدقي اسماعيل

وجه



١١ . الإعصار
١٢ . ليوشكين . ترجمة
١٣ . عمار بيحث
١٤ . عن أبيه . مسرحية.
١٥ . فان كوخ .
١٦ . ١٩٥٦
١٧ . العطب . قصة.
١٨ . جريدة الكلب .
١٩ . في الإعلام:
٢٠ . مسلسل أسعد الورق قدم في عام ١٩٧٥م، وأعيد إنتاجه في عام ٢٠١٠.

٣ . العرب وتجربة المأساة، دراسة، بيروت ١٩٦٣م.
٤ . العصاة، رواية، بيروت، ١٩٦٩م.
٥ . الله والفقر، قصص اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٧٠م.
٦ . سقوط الجمره الثالثة، مسرحية.
٧ . الأحذية، مسرحية.
٨ . أيام سلمون، مسرحية.
٩ . الأعمال الكاملة، ستة أجزاء . القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، دمشق ١٩٧٧م.
١٠ . الينابيع، مقالات، دمشق ١٩٥٥م.

عام ١٩٦٩م، في تأسيس اتحاد الكتاب العرب وتولى رئاسته حتى عام ١٩٧١م، ورئاسة تحرير مجلة الموقف الأدبي وهو عضو جمعية القصة والرواية.
من مؤلفاته الأدبية:
١ . رامبو، قصة شاعر متشرد، ط١ (دمشق ١٩٥٢م)، ط٢، (القاهرة ١٩٦٩م).
٢ . محمد علي القاسمي مؤسس النقابات التونسية، دمشق ١٩٥٥م.

صديقي اسماعيل (١٩٢٤-١٩٧٢) أديب وكاتب وروائي وكاتب مسرحي سوري ولد في مدينة انطاكية وتلقى علومه فيها، وتخرج في دار المعلمين بدمشق عام ١٩٤٨م، وفي جامعة دمشق حاملاً الإجازة في الفلسفة، ودبلوم التربية عام ١٩٥٢م، عمل مدرساً في حلب ودمشق، وعين أميناً للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٨م، أسهم

المدير المسؤول: د. حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: د. نزار بني المرجة

مدير التحرير: عياد عيد

المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
محمود حامد - د. عيسى الشماس
نبيل ثوفل - رياض طبرة

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

• نزار بني المرجة

سليمان العيسى المعلم .. والمأثرة!

قرابة قرن .. عُمرُ الشاعر العربي الكبير الراحل سليمان العيسى، كان فيه (سليمان) الحكيم !، مثلما كان فيه (ال عيسى) تجلياً إبداعياً ليسوع المحبة .. كان من سوء طالع العمر لديه ابتلاء - لواء الاسكندرون - (و فيه قريته "النعيرية" ومدينته "انطاكية" حيث نشأ وبدأ يتعلم) بالاستعمار الفرنسي الذي باع ذلك الجزء الغالي من وطننا العزيز بأرضه وناسه لتركيا بأبخس الأثمان، وليكون رد الفعل على ذلك الظلم الواقع بحق وطننا سورية.. انطلاق شرارة "البعث" حركة قومية تستنهض وحدة العرب من المحيط إلى الخليج.. وليكون شاعرنا الكبير خلف المفكر والفيلسوف زكي الأرسوزي، واحداً ممن يُحصون على أصابع اليد الواحدة ممن كان لهم شرف حمل راية شرارة ذلك اللهب القدسي .. في وقت كان هو الأصب والأكثر بؤساً لما كان عليه حال الأقطار العربية من تبعية واحتلال وشرذمة وانقسام.. لا تشبهه إلا الحال التي يريدونها لنا أعداء اليوم، الذين هم ذاتهم أعداء الأمس ! وبوضوح شديد لا يستطيع أحد نفيه أو إنكاره!

ولقد عاصر شاعرنا الكبير جملةً من الانتكسات والانتصارات التي خفق لها قلبه واهتزت لها مشاعره، فكانت ملاحمه وقصائده ترجمة صادقة لها، برؤية ثاقبة، بُوصَلتها الثابتة هي العمل الدؤوب لإنجاز وحدة عربية تضمن لأجيال العرب مستقبل العزة والكرامة ..

وكانت نكسة حزيران في العام 1967 منعطفاً حاسماً في المسيرة الإبداعية للشاعر الكبير الراحل حيث قرر تكريس إبداعه للأطفال بصفتهم الأمل الوحيد الذي يجب أن يعول عليه لبناء المستقبل المشرق للعروبة.. وهكذا بدأ كتابة ملحمة شعرية عربية للطفولة، منحها حياته وإبداعه حتى نهاية العمر، وكان من دواعي سروره وغبطته

(كما كان يروي لنا هو ورفيقة دربه الدكتورة ملكة أبيض) أنه نجح في إيصال قصائد ملحمته تلك إلى كل بيت عربي وكل مدرسة عربية.. (والمنهاج المدرسية في أقطار الوطن العربي شاهدة حية على تلك الحقيقة) والأجمل من هذا وذاك أن أطفال العرب كانوا يحفظون عن ظهر قلب اسم شاعرنا سليمان العيسى المثبت في نهاية قصائده وكأنه جزء لا يتجزأ من تلك القصائد، وهذه الحقيقة عشناها نحن وعاشها ويعيشها أطفالنا إلى اليوم!

ولعلّ المأثرة الأهم في مسيرة وحياة الشاعر الكبير الراحل هي تلك الصوفية التي تميز بها من خلال نذر حياته وإبداعه للغة العربية وللهم القومي في آن معاً، مؤكداً ومكرساً تلك العلاقة التي لا تنفصم عراها بين اللغة العربية والحلم القومي العربي.. يشهد على ذلك إبداعه الذي تضمنه عشرات مؤلفاته وكتبه، والتي برهن فيها على استيعاب كبير لخصوصية تاريخ وتراث كل قطر عربي، وتبسيطه الضوء على القواسم المضيئة المشتركة التي تجمعنا وتوحدنا كعرب، ويشهد على ذلك أيضاً منجزه الإبداعي الذي سلط فيه الضوء أيضاً على بطولات العرب وأمجادهم، مستنهضاً هم الأجيال القادمة لمواصلة مسيرة الأمة العربية في ركب التقدم والحضارة ومعاودة بناء أمجادها من جديد..